قوة اللفظ لقوة المعنى فى القرآن الكريم
فى ضوء فقه اللغة العربية

دكتور

أحمد جودة على مسلم

المدرس بقسم أصول اللغة.

فى كلية اللغة العربية بالزقازيق

مقدمة

لله، خالق الألسنِ واللغاتِ ، واضعِ الألفـاظِ للمعـانى بحسب ما اقتضتْه حكمُهُ البَالغـاتِ، الـذَّى علَّـم آدمَ الأسْماءَ كلَّهَا، وأظهر ذلك شرَفَ اللغةِ وفضْلِها ٠

والصَّلاةُ والسَّلامُ على الهادى البشيرِ، والسراجِ المنيرِ سيدنا محمد ــ ﷺ ــ أبلغ الناطقين، وأفصح من تلا القـرآن الكـريم، وعلـى آلـه وصحبه الغر المحجلين، فرسان الأداء الميامين، ومن تبعهم بإحسان من حَمَلَةِ كتابه المُبِينِ، ومن سار على طريقهم واقتفى أثرهم إلى يومِ الدَّينِ .

وبعد

إنه لشرفٌ كبيرٌ ،وخيرٌ كثيرٌ ؛ العمل فى خِدمة كتابه الكـريم ، وأعلى وسام يوضع على الصدور ،وينال المرؤ من عمله- بإذن ربه - أوفى الأجور ،ويتلقاهُ العلىّ القديرُ بالبِشرِ والسرورِ،ذلك لأنه نصٌّ مبينٌ تحفظه صدورنا قبل السطور ،و تتفاعـل أصـواته ومعانيـه فيجرى على الألسنة جريان الماء فى الغدير، ومن دونه ؛ العمل فى الدّرسِ اللُّغوىّ فهو مِنْ مُتشعبات البُحورِ، ومِـنْ أعمقـه وألطفـه؛ الدَّرس الدَّلالى ، حيث السبيل إلى فَهْمِ اللُّغة وفقهها من بين السطورِ ، كما فعل فقهاءُ اللُّغةِ – قدامى ومُحْدَثين – حيث عَبَـدّوا الطريـقَ بِعلْمِهِم المَسْطُور .وقد تلا جيل السابقين جيلُ أساتذتنا الأفاضل فى علم اللغة وفقهها بمصر والوطن العربى- فجزاهم عنا ربنـا خيـر الجزاء بسعيهم المشكور- وعلى إثرهم سار الجيلُ الجديـدُ بالهـدى والنور – فمن حق الدارسين العرب أن يعلموا أنهم ليسوا عالة على الدراسات الأجنبية ويتجلى ذلك فى فقه اللغة العربية حيث إنه عربىٌّ خالصٌ -. ومما كان يشغلنى – دائماً- ذلك المظهر اللغوىّ البديع ؛ (قوة اللفظ لقوة المعنى)؛الذى ينتمى إلى علم فقه اللغـة العربيـة[١]

---

(١) يُنْظر علم فقه اللغة العربية أصالته ومسائله ١٠٢.

حيث تتجلى القيمةُ التعبيريةُ للحرف الواحد ، والقيم الدَّلالية للبنيـــة الزائدة ، فمن المتعارف عليه كما يقول ابن جنى – أن الألفاظ أدلـــة المعانى ؛ وهى توضع بإزاء المقاصد ؛ فإذا زيد فيها شىء ، أوجبت القسمة له زيادة المعنى به ، وكذلك إن انحـــرف بـــه عـــن ســـمته ((وهَدْيَتِه)) كان دليلاً على حادث متجدّد له . وأكثر ذلك أن يكون مـــا حدث له زائداً فيه لا منتقصاً منه. (١)

وفكرّتُ أن أتناول هذه القضية فى كتاب الله – تبارك وتعـــالى – حيثُ إن القرآن الكريم يزخر بالألفاظ الخارجة من مشكاة واحدة وزاد إحداها نظراً لزيادة معناها وهذا الأمر يدخل تحت قضايا فقه اللغة ؛ ومما هو جدير بالذكر أن الباحث فى تلـــك الألفـــاظ عليـــه العنايـــة بالسياق القرآنى الوارد به تلك الألفاظ ؛ لأنه المعـــين علـــى تحديـــد مراد الله – تبارك وتعالى – ودراسة السياق – من صميم الـــدّرس الدَّلالى – ومن هنا فالدراسة تجمع بين فقه اللغة العربية القـــديم ، والدَّرس الدَّلالى الحديث .

ولقد حاولتُ فى هذه الدراسة الســـيرَ علـــى خُطـــوات منظمـــة للوصول بها للوجه المرتضى عند الله ــ سبحانه وتعالى ــ وأولـــى العلم وأربابه من بعده، ومن أهم تلك الخطوات ما يلى:

١ – جَمْعُ المَادةِ العلمِيةِ المُتعلِّقَةِ بالدِّرَاسةِ .

٢ – تَصْنِيفُ المادةِ العلمية طِبقًا للمعاييرالمعمول بهـــا فـــى الحَقْلِ الدَّلالىّ ؛ وإنَّ كان الأَمرُ لم يَخْلُ من بعض الاجتهاد مـــن قِبـــلِ الباحثِ فى بعض النواحى التصنيفية والتحليلية التعليلية علـــه ينـــلَ القبول– إن شاء الله تعالى– .

ولم يغفل الباحثُ الالتزام بالأدوات البحثية المُتعارف عليها بين الباحثين، كـــ : توثيق الآيات القرآنية الواردة – من رقم الآية واسم السورة ورقمها، ومن تخريج الأحاديث النبوية ، والأمثـــال والشـــعر وبحوره وكلها من ثوابت البحث العلمى والتى حرص على وجودها فى عمله – جهد الطاقة– .

---

(١) يُنْظر الخصائص ٣/٢٦٨.

ولا يخفى على أحدِ من أربابِ العِلمِ وطُلابِهِ مدى المعاناة التى تعترض الباحثين فى مجال العلوم والفنون - ناهيك - عن العلوم اللُّغَويةِ - خاصة - الدَّلاليةِ ؛ فالعلم - كما يعلم أهله - سَهْلٌ وعَويصٌ ، وذَلُولٌ وجَمُوحٌ ، لا يسْتغنى باحتواءِ سَهْلِهِ عَنْ مَعْرِفَةِ عَويصِهِ ، بل لا يتوصلُ إلى تقصى ذَلُوله إلا باستنباط جامِحه ، والمتبحر فيهما، يبذلُ لطالبِ سَهْلِه ملتمسه، ولمبتغى التوصل إلى عويصه طريق الوصلة إليه ٠

فالله أسألُ أنْ يَجْعَلنى ممَّن يُبْدِى ذَلُولَ مَا مُنِحَ مِنَ العِلمِ لمُبْتَغيه، طلبًا لمَرضاةِ مَوليه ومُسْدِيه، ويُظْهر الجَامِحَ ، امتثالاً لقولِهِ ـ تعالى﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾(١)ويوفق الجميعَ وإياى من القول والعمل لما يقرّب منه ويُزلف لديه، ويدنى من رضاه،- سبحانه وتعالى- إنه جواد كريم قريب، سميع مجيب٠

الباحث

---

(١) سورة الضحى ٩٣ / الآية الأخيرة٠

توطئة.

تتضمن هذه التوطئة حديثًا موجزًا عن كتاب ربنا الحكيم – لغةً ، وأسلوباً وأثر ذلك فى الدرس اللُّغَوىّ؛ عاطفاً عليه حديثاً عن الدرس الدَّلالى ،ومُزَيلاً بحديثٍ عن قضية قوة اللفظ لقوة المعنى؛ من بعدها يَلِجَ القارئُ الكريمُ إلى صُلّبِ الدراسة.

أولاً: القرآن الكريم .

تنزيل مِن ربِّ العالمين، نزلَ به الرُوحُ الأمينُ، على قلبِ سيّد المُرسَلين– محمد عليه أفضلُ الصلاةِ والتسليمِ – بلسان عربىٌّ مُبِينٌ ، ونظمُهُ – تباركَ وتعالىّ – من الحروف التى فى حِكْمتها عِبْرة للمعتبرين، ودلالة للمتوسمين، وخلَّدَ العربيةَ بخلودِ هذا الكتابِ الكريمِ. وهو حبلُ اللهِ المتينِ، ودستورهُ المُبينِ ، والصراطُ المستقيمُ ، وهادى الضالين، ومنقذ الهالكين، ودليل المتحيرين، والذكر الحكيم، شفاء لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يُعْوجُ فيقوَّم ، ولا يزيغُ فيستعتب، ولا تنقضى عجائبُهُ، ولا يَخْلقُ على كثرة الرد.

وهو لبُّ كلامِ العربِ وزُبْدَتُه ، وواسطتُه وكرائمه ، وعليه اعتماد الفقهاء والحكماء فى أحكامهم وحِكَمِهم ، وإليه مَفْزَعُ حُدَّاق الشعراءِ والبُلغاءِ فى نَظْمهم ونثرهم ، وما عداه أو ماعدا الألفاظ المتفرعات عنه و المنتقاةِ منه هم بالإضافة إليه كالقُشورِ والنَّوَى بالإضافة إلى أطايب الثمرة ، وكالحثالة – القشارة – التِّبْن بالنسبة إلى لُبُوب الحِنْطة . (١)

و قد استمر هذا النص القرآنى وامتد بأعلى وأوثق مناهج النقل وهو منهج التواتر الذى يفيدُ علمَ اليقينِ .. امتد واستمر رسمًا، وصوتًا ،

---

(١) ينظر مقدمة المفردات للراغب ، والمزهر للسيوطى ٢٠١/١ .

وشكلاً، ومضموناً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [١] وقد ظلَ هذا الكتابُ الحكيمُ يُتْلى ويتردد فى أرجاءِ الدنيا منذ أكثر من ألف عام ، وسيظل يتلى ويتردد فى أرجائها إلى أن يرث الله ــ تبارك تعالى ــ الأرضَ ومَنْ عليها، وقد ظلَ ــ أيضًا ــ مِحْورًا للدراسات اللُّغوية، والشرعية، والإنسانية، والمعرفية، وستبقى هذه الأمة قادرة ــ بهذا الكتاب ــ على النهوض والتجاوز للمحن والعلل ما دامت متمسكة به فهذا النص يشكل من بعض الوجوه الحصن الثقافى، والمعرفى، بل قل : والترسانة الفكرية المانعة من ذوبان أمتنا فى حالات الضعف والانكسار، ويشكل من بعض الوجوه القوة الدافعة وقاطرة التقدم فى فترات التألق والازدهار .

ثانياً:الدرس الدَّلالى.

تقسيم مستويات الدرس اللُغوىّ إلى أصواتٍ ، وصَرفٍ ، ونَحْو ، ودَلالةٍ ؛ ثم تقسيم الدَّلالة إلى معجمية ، واجتماعية ؛ أصبح من المُسَلَّمَات [٢] ومن ثَم فالدرسُ الدَّلالىّ لبنيةِ اللُّغةِ يُعد أساساً ضرورياً لكلِّ الدراساتِ التاريخية ، والمقارنية ، والتقابلية ؛ لدلالة الكلمات . [٣] بل هو غاية الدراسات الصوتية ،والفونولوجية ، والنحوية ، والقاموسية ؛ مما يجعله قمة الدرس اللغوىّ . [٤]

ثالثاً : قوة اللفظ لقوة المعنى.

يقول الهمذانى : " اللفظ زينة المعنى ، والمعنى عِماد اللفظ "[٥] فكلاهما وجهان لعملة واحدة ، والقضية التى بين أيدينا من القضايا المهمة فى فقه العربية ، وهى من القضايا التى تنبه لها فقهاء اللغة

---

(١) سورة الحجر ١٥/ ٩ .
(٢) ينظر نقد الاستغراب فى الدراسات اللغوية١٠٨.
(٣) ينظر الدلالة الصوتية فى اللغة العربية ٢٩.
(٤) ينظر علم اللغة د/ محمود السعران ٢١٣.
(٥) ينظر مقدمة كتاب الألفاظ الكتابية.

، منهم الإمام سيبويه فى قوله : ((قالوا : خَشُن ، وقالوا : اخْشوْشنَ . وسألتُ الخليلَ ؛ فقال : كأنَّهم أرادوا المبالغةَ والتوكيد ، كما قالوا : اعشوشبتِ الأرضُ فإنما يريدُ ، يجعل ذلك كثيراً عاماً ، قد بالغَ .وكذلك احلوْلى وربما بُنى عليه الفعلُ فلم يُفاقه ، كما أنه قد يجىء الشىءُ على أفعلتُ وافتعلتُ ونحو ذلك ، لا يُفارقه بمعنى ، ولا يستعمل فى الكلام إلا على بناء فيه زيادة.)) (١)

وليس ببعيد أبداً أن يكون العبقرى ابن جنى قد تلمس الطريق بما أفاده من كلام الفذ سيبويه فى هذه الفكرة قبل أن تصبح قضية ، على يد ابن جنى فهى عنده أكثر وضوحاً ؛ فقد أفردها بالدراسة وجعل لها باباً فى كتابه الخصائص ، وإليك أيها القارىء العزيز جانباً مما قاله ابن جنى فى هذا الشأن ؛ يقول : ((من المتعارف عليه أن الألفاظَ أدلةُ المعانى ؛ وهى توضع بإزاء المقاصد ؛ فإذا زيد فيها شىء ، أوجبت القسمة له زيادة المعنى به ، وكذلك إن انحرف به عن سمته ((وهَدْيَتِه)) كان دليلاً على حادث متجدّد له . وأكثر ذلك أن يكون ما حدث له زائداً فيه لا منتقصاً منه؛ألا ترى أن كل واحد من مثالى التحقير والتكسير عارضان للواحد ، إلا أن أقوى التعبيرين هو ما عرض لمثال التكسير وذلك أنه أمرٌ عرض للإخراج عن الواحد والزيادة فى العدّة ،فكان أقوى من التحقير ؛ لأنه مُبَقٍّ .)) (٢)

---

(١)يُنظر الكتاب لسيبويه ٤/ ٧٥و٧٦.

(٢) ينظر الخصائص لابن جنى ٣/٢٦٨.

وقد تحدث ابن جنى عن قضية اللفظ والمعنى فى أكثر من موضع : ((باب فى قوّة اللفظ لقوّة المعنى)) و((باب فى تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى))٢/١٤٥((باب فى إمساس الألفاظ أشباه المعانى))٢/١٥٢.

ورغم ذلك فلا يجب أن يكون لكلِّ معنى لفظٌ ؛ لأن المعانى لا تتنـــاهى والألفاظ متناهية ؛ لأنَّها مركبّة من الحروف ، والحروف متناهيـــة ، والمركب من المتناهى مُتَنَاهٍ ، والتناهى لا يضبط مالا يتناهى . [١]

وتواصلاً مع فقهاء اللُّغة العربية فى حديثهم عن هذه القضية ،نجـــد أن ابن فارس يرى أنه من سنن العرب ؛فيقول :((ومن سنن العـــرب الزّيادة فى حروفِ الاسم و يكون ذلك إمّـــا للمبالغـــة أو التشـــويه والتقبيح ؛ ثم يقول سمعتُ من أثِقُ به قال تفعل العَربُ ذلك للتشويه ، يقول للبعيد ما بين الطرفين المفرط الطوَل :((طِرِمّاح)) وإنما أصله من((الطرَح)) وهو البُعْد لكنه لما أفرط فى طوله سُمَّى طِرِمَّاحاً ، ، فشُوِّه الاسم لما شُوِّهت الصورة ، يقول ابن فارس : وهذا كـــلام غير بعيد .ويكون من الباب قولهم للكثيرة : التَّسَمُّع والتَّنَظُّـــر : ((سِمْعَنَّةٌ ، ونِظْرَنَّةٌ)) . ومن الباب : كبير وكُبـــار وكُبَّـــار . وطُـــوَال وطُوَّال ؛ ثم يقول فى موضع أخر : ((باب الزيادة فى حروف الفعـــل للمبالغة وقد مضى فى الأسماء مثله ؛ العرب تزيد فى حروف الفعل مبالغة ، فيقولون : ((حلا الشىء)) فإذا انتهى قالوا :((احْلَوْلَى))))[٢]

ومن هذا المنطلق يتبين – لنا – أن فقهاءَ اللغة العربيةِ كما عرفوا لكلِّ صوتٍ لُغوىّ مُخْرجه وصفته ، عرفوا له – أيضاً – إيحـــاءه دلالة ومعنى ،حيث إن لكل صوت من أصوات اللغة قيمـــة تعبيريـــة موحية من ظلٍّ وإشعاع ، كما له صدى وإيقاع.[٣]

---

(١) ينظر المزهر للسيوطى ١/٣٨و٤١.
(٢) ينظر الصاحبى ١٢٢و ٤٤٤.
(٣) ينظر دراسات فى فقه اللغة د/ صبحى الصالح ١٤١و١٤٢.

واللغةُ العربيةُ بأوزانِها ؛ من أسماء وأفعال من حيث أصولها لا زيادة فيها ، لأن تجردها من الزيادة يجعل مدلولاتها محصورة فى قوالبها ذاتها ، وهذا ما يُعرف بالفئةِ التقليديةِ – أى ذات المعنى الأصلى – ووهناك فئة تجديدية منتقاة تختار اختياراً ، ولا يكون إلا مشتقات مزيدات ، بيد أن فى زيادة مبناها زيادة لمعناها ، فهى وثيقة الصلة بالاشتقاق ، ولا ترتبط قط بالإلحاق ،ولعل أبسط ما يستنبط من هذه التفرقة بين فئتى الأوزان المستعملة ؛ أن الإلحاق – كإتباع الأصل – ضرب من العمل الشكلى بينما ترقى الصياغة القالبية بزيادتها المقصودة إلى ذروة العمل المبدع الجوهرى ، فتعدد الأوزان الملحقة – كتنوع الألفاظ بصيغها الأصلية المتكاثرة – أمارة على غنى اللُّغة لا على حياتها ، وتصريح بجنوحها إلى الزخرف والتنميق لا إلى التحقيق والتدقيق ، ووصم بالسذاجة والبدائية لا بالعمق والحضرية. وما من ريب فى أن العربية مستغنية بقوالبها المتناسقة مع معانيها ، وبدلالاتها المعبرة عن مدلولاتها ، عن أن تلصق بها تهمة الجمود وهى أم اللغات فى التشقيق والتوليد. (١)

وهذه الدراسة تسعى إثر دقائق الألفاظ ، ولطائف الإشارات بين أوزان عربية بنوعيها – أصلها وزائدها – حيث تتلمس ما وقع من زيادة لتلك الألفاظ ذات الأصول الواحدة – بيد أن– إحداها قد زاد عن غيره بزيادة فى مبناه تبعاً لزيادة معناه ، واستعمال ما استعمل فى هذا السياق أوفق من استعمال صاحبه – خاصة – فى السياق القرآنى ، فما دام قد استعمله الذكر الحكيم فى هذا السياق ،فهذا

---

(١) نفسه ٣٣٣– ٣٣٦ .

الاستعمال – لا محالة – له علة ودلالة زائدة منــوط بنــا محاولــة البحث والتنقيب عن تلك القيمِ الدَّلالية ، والتوفيق والسداد ؛ من الله – سبحانه وتعالى _ ورجائى للقارىء الكريم أن يتسع صدره للباحث حتى نصل إلى تلك المظاهر الدَّلالية الدقيقة فابن اللغة العادى قــد لا يلحظ ما يلحظه اللغويّ ، أو ابن اللغة الخاص _ إن جاز التعبيــر– فمعرفة الأول للأفعال العربية قد تقف عند معرفته بأسمائها فيقــول لك : إنها الماضى ، والمضارع ، والأمر ؛ وفى هذه الحالة لن يبخل الكثيرون عليه بلقب مثقف ؛ فى حين أن الثانى ،أو اللغــويّ عنــدما تسأله سيخبرك بأن الماضى ؛ هو ما حدث فى زمن لم يعد موجــوداً أو سابق ((Accompli)) ، وقد يذكر لك أيضاً _ إن وقعت تحت يديه القرائن _ بأن هناك ماض قريب وأخر بعيد وهكذا ،وما ذُكــر فى الماضى يستطيع المرءُ استحضــاره فــى المضــارع وغيــره ، فالمضارع معروف أنه يدل على الحال والاستقبال _ حسب القرائن _ فقد يحدد لك الثانى أو تقف أنت بعد الجهد والجد على الفترة الزمنية المحتسبة فى كلمة الحال فى الأُنموذج موضــوع الســياق ، وكــذا الاستقبال فأنت تحتاج من يعين لك تلك الفترة الزمنيــة المبهمــة ؛ وكل ذلك لا تصل إلا بالتمحيص والتدقيق الشدديين . [١]

((اختلاف المبانى وافتراق المعانى وعلاقتها بالصيغ))

الصيغ اللغوية ؛ هى هيكل اللغات – ناهيك عــن اللغــة العربيــة – وتنوعها واختلافها سِمَةٌ مِنْ سِمات لغتنا _ وافرة الظِلال ، كثيرة الشعاب _ ومن أهم مظاهر اختلاف الصــيغ الجُمــوع – خاصــة –

(١) يُنْظر نحو هذا الكلام فى فقه اللغة المقارن للسّامرّائى ٥١-٦١.

جُموع التكسير التى تدلنا على لهجات ذابت واندمجت فـــى العربيـــة الأمّ ولم يبقَ منها إلا تلك الصيغة أو غيرها ،وأصـــبحت وغيرهـــا تشكل البنيان المتكامل للغة الذى بين أيدينا اليوم ، وإن رأى البعض أن هذا الاختلاف دليلاً على مرحلةٍ مُبكرةٍ للعربية غيـــر مســـتقرة ، فالواقع أن هذا يؤدى دوراً كبيراً لمستخدمى هذه اللغة مـــن تنـــوَّعِ ألفاظهم والتنقل بحرية لم تكن لتتاح لهم لو لم يكن ذلك موجوداً .[١]

(١) يُنظر فقه اللغة المُقارن للسَّامرِّائى ٤٦و٤٧ بتصرف كبير .

((العدول عن معتاد الحال))

يحدثنا الإمام ابن جنى عن هذا المنحى اللغوى فى البحث عن القيم الدَّلالية بين الألفاظ متدانية المبنى متباعدة المعنى ، أو مختلفة المبنى مفترقة المعنى ؛ فيقول : ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله . وذلك فُعَال فى معنى فعيل ؛ نحو طُوَال ؛ فهو أبلغ من معنى من طويل ، وعُرَاض ؛ فإنه أبلغ معنى من عريض ، وكذلك خُفاف من خفيف ، وقُلاَل من قليل ، وسُرَاع من سريع .ففُعَال – لعمرى – وإن كانت أُخت فَعِيل فى باب الصفة ، فإن فَعِيلاً أخصُّ بالباب من فُعَال ؛ ألا تراه أشدُّ انقياداً منه ؛ تقول : جميل ولا تقول : جُمَال ، وبطىء ولا تقول : بُطاء ، وشديد ولا تقول : شُداد ولحم غريض ولا يُقال غُراض فلما كانت فَعِيل هى الباب المطَّرد وأريدت المبالغة ، عدِلت إلى فُعَال . فضارعت فُعَال بذلك فُعَّالاً . والمعنى الجامع بينهما خروج كل واحد منهما عن أصله ، أما فُعَّال فبالزيادة ، وأما فُعَال فبالانحراف به عن فعيل. (١)

بين عُجاب و عجيب . (٢)

عَجِبَ عَجَباً ، وأمرٌ عجيبٌ عَجَبٌ عُجاب . قال الخليل :بينهما فرقٌ .أما العجيب فالعجب ، وأما العجاب فالذى جاوز حدّ العجب ، مثل الطويل والطوال . (٣)

---

(١) يُنْظر الخصائص ٣/٢٦٧و٢٦٨.

(٢) ورد لفظ (عُجاب) فى قوله _ تعالى _ : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ سورة ص ٣٨/ من الآية ٣٨.وورد لفظ (عجيب) فى قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ من سورة هود١١ / ٧٢ ،وسورة ق ٥٠ / ٢.

(٣) يُنظر العين ٣/ ٩٨ " عجب ".

وقد حكى هذا الفرق عن الخليل ابن فارس معلقاً بقوله : وذلك مثل الطويل والطُّوال ، فالطويل فى الناس كثير ، والطُّوال :الأهوج الطول . [١]

وقد حكاه عنه – أيضاً – ابن سيده ، [٢] والقرطبى . [٣]

ولفظ (عُجاب) : وصف الشىء الذى يتعجب منه كثيراً.

وهو بناء مبالغة [٤] لأن وزن (فُعال) ؛ بضم أوله مخففاً – وهو لغة أزد شنوءة كما قال مقاتل –[٥] يَدلُّ على تمكن الوصف فهو مبالغة فى عجيب على وزن فعيل ، كقولهم : رجل طُوال بمعنى المفرط فى الطول،وأمرٌ سُراع ، ، وكُرام بمعنى الكثير الكرم فهى أبلغ من : طويل وسريع ، و كريم . [٦]

لأننا لو جئنا إلى التحليل الصوتى لبنية الكلمتين لوجدنا عدد الفونيمات متساوية (ع – ج– ا – ب) ، (ع – ج –ي– ب) فأين الزيادة فى المبنى – هنا – فى عُجاب ؟

والإجابة عن هذا التسئاول فى أمرين : أولهما : نعم فى اللفظين نفس الفونيمات الصوتية تقريباً ؛ حتى فى أصوات المد واللين فعُجاب فيه الألف ، وعجيب به الياء .

---

(١) يُنظر المقاييس ٧٤٤ " عجب ".
(٢) يُنظر المحكم والمحيط ١/ ٣٣٧ " عجب ".
(٣) يُنظر الجامع ١٨ / ١٣٢.
(٤) يُنظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٣.
(٥) يُنظر البحر المحيط ٧/ ٣٦٩.
(٦) يُنظر الدر المصون ٩/ ٣٥٨ .

الأمر الثانى : أن عُجاب على وزن (فُعــال) – بضــم الأول – وعجيب على وزن (فَعيل) – بفتح الأول – ولا شك أن فــونيم الضمة أقوى صوتاً من فونيم الفتحة.

ولا يخفى على أرباب التخصص أثر الحركــات فــى الصــوامت المتصلة بها ، فتعدل من مخرجها ، أو مــن صــفتها ، أو مــن مخرجها وصفتها معاً.فالصامت قد يتقدم مخرجه أو يتأخر تبعــاً لنوع الحركة المجاورة له . (١)

(١) يُنظر أثر القوانين الصوتية فى بناء الكلمة العربية٢٤٥.

((أبنية المبالغة وأثرها فى افتراق المعانى))

وهذه الأبنية للمبالغة والتكثير ؛وأوسعها دوراناً فى اللغة خمسٌ حكاها كلها سيبويه ؛وهى : (فَعَّال – بفتح الفاء وتشديد العين – [١]،وفَعُول ، [٢] ومِفعال ، [٣] وفعيل ، [٤] وفَعِل [٥]) فإذا قُصد باسم الفاعل التكثير و المبالغة حُوّل من صيغة اسم فاعل المشتق من أفعال ثلاثية[٦] متعدِّية أو لازمة إلى تلك الصيغ ؛ قال سيبويه : وأجروا اسم الفاعل ، إذا أرادوا أن يبالغوا فى الأمر ،مُجراه إذا كان على بناء فاعل ، لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل ، إلاّ أنه يريد أن يُحدِّثَ عن المبالغة . ومن أبنية المبالغة السماعية – أيضاً – : (فَيْعُول ، كقيُّوم ، ومفْعِيل ، كمسكين ،

---

(١) ويسقط معنى المبالغة من هذه الصيغة حين تستخدم لتدلّ على الصانع صاحب الحرفة ، مثل : نجَّار – بنَّاء – حدَّاد – سبَّاك . يُنظر تيسيرات لغوية ٩٣.

(٢) ويسقط معنى المبالغة من هذه الصيغة حين تستخدم للدلالة على اسم المفعول ، مثل : رسول – ذلول ؛ وقد أدخلها النحاة فى صيغ الصفة المشبهة ، ممثلين لها بكلمة : " حَصُور " وأمثلتها عندهم فى الصفة المشبهة قليلة جدّاً ؛ بينما أمثلتها الدالة على المبالغة كثيرة . يُنظر تيسيرات لغوية ٩٣و٩٤ .

(٣) ويسقط معنى المبالغة من هذه الصيغة حين تستخدم للدلالة على اسم الآلة ، مثل : مضراب – ميزان – منشار – مفتاح . يُنظر تيسيرات لغوية ٩٣.

(٤)وتستخدم هذه الصيغة فى الصفة المشبهة حتى ليطرد القياس فيها قياساً مطرداً من (فُعُل – مضموم العين –) الدال على الغرائز والأوصاف الخِلْقية والخُلقية ، مثل : كريم – قبيح – جميل – حليم كبير – صغير . يُنظر تيسيرات لغوية ٩٣و٩٥و٩٦.

(٥)وتستخدم هذه الصيغة كثيراً فى الصفة المشبهة حتى لتكون قياسية فيها– كما نصّ النحاة – قياساً مطرداً من:(فَعِل) اللازم الدال على الأدواء والعيوب ، والهيجانات والفرح والحزن ، مثل : وَجِع – حَدِب – بَطِر – نَكِد – قَلِق – جَزِع . يُنظر تيسيرات لغوية ٩٣و٩٥.

(٦) وفى اللغة أمثلة لصيغ (فَعَّال ، و مفعال ، وفعُول) من أفعال غير ثلاثية ، مثل : درَّاك من أدرك ، ومعطاء من أعطى ، وزَهُوق ؛ أى بعيد ، من أزهق فى سيره. يُنظر تيسيرات لغوية ٩٤.

وفَعُّول ، كقدوس ، وفِعّيل ، كسكير وصديق ، وفُعَّال ، ككُبَّار ، فَاعُول ، كفاروق) .[١]

ويذكر سيبويه أن العرب تستعمل الصيغ ا : فَعولٌ ، وفعَّال ، و مفعال ، وفَعِلٌ . وقد جاء : فعيل ، كرحيم ، وعليم وقدير وسميع وبصير ، يجوز فيهن ما جاز فى فاعل من التقديم والتأخير، والإضمار ولإظهار . كقول القُلاخ :

أخا الحَرْبِ لَبَّاساً إليها جِلالَها وليس بولاجِ الخَوالفِ أَعْقَلا [٢]

وسُمع : أمَّا العَسَلَ فأنا شَرَّابٌ ، أو إلى مِفْعال – بكسر الميم – كمِضراب ، أو إلى (فَعول) – بفتح الفاء – كقول أبى طالب بن عبد المطّلب :

ضَروبٌ بنَصْلِ السَّيْفِ سُوقَ سِمانِها إذا عَدِمُوا زاداً فإنَّكَ عاقِرُ[٣]

أو فعيل ، أو فعل. والتحويل إلى هذه الثلاثة بكثرة ، أو إلى (فَعيل) – بكسر العين وبعدها ياء – كقولهم: قَدِيرٌ وعليمٌ ورحيمٌ ، لأنه يريد المبالغة فى الفعل ، أو إلى (فَعِل) – بكسر العين من غير ياء – كقول طرفة :

أتانى أنهم مَزِقُون عِرضى جِحاش الكرمَلين لها فَديدُ [٤]

---

(١) يُنظر الدلالة الصوتية فى اللغة العربية٢٢٢.

(٢) البيت من بحر : (الطويل) وهو للقلاخ بن حزن بن جناب المنقرى موجود فى الكتاب لسيبويه ١ /١١١ وشرح الحدود ١٨٧و شرح التسهيل لابن مالك ٧٩/٣،وشرح الكافية الشافية ١٠٣٢/٢وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادى ٣/ ٨٥٤.

(٣) البيت من بحر : (الطويل) وهو من قصيدة لأبى طالب بن عبد المطلب يرثى فيها أبا أمية ابن المغيرة زوج أخته عاتكة بنت عبد المطلب وهو موجود فى الكتاب لسيبويه ١ /١١١ وشرح الحدود ١٨٧و خزانة الأدب ٣ / ٤٤٦. وتوضيح المقاصد والمسالك للمرادى ٣/ ٨٥٥.

(٤) البيت من بحر : (الوافر) وهو لزيد الخيل وكانت له خمسة أفراس مشهورة فأضيف إليها وسماه الرسول – صلى الله عليه وسلم – زيد الخير .

والتحويل إلى هذين قليل ، والثانى أقل ؛ ففَعِلٌ أقلُّ من فَعيلٍ بكثير ، والمشهور : أن هذه الأمثلة لا تتفاوت فى معناها . ولدلالتها على المبالغة : لم تستعمل إلا حيث يمكن التكثير [١]

يقول المرادى : " وقد يبنى فَعَّال ، ومِفعال ، وفَعول ، وفَعِيل ، من (أَفْعَل)، كقولهم : درَّاك ومِهوان ، وزهُوق ، ونذير ، من : أدرك وأهان وأزهق وأنذر ، وذلك قليل . [٢]

وكذا صيغتى : (فُعَّال ، وفُعَال) – بضم الفاء فيهما مع تشديد العين فى الأول ، وتركه فى الثانى – قد استعملتا للمبالغة فى لهجة اليمن وأزد شنَوءة ، ودليل ذلك ما جاء عن ابن دريد من أن قبائل اليمن " ومنهم عمار ذو كُبار ، والكبار الكبير بلغتهم وهو الكُبَّار – أيضاً – " وفى جمهرة اللغة له – أيضاً – : " أن أهل اليمن يسمون الرجل الكبير ؛ كُبَارا" وعندما نتتبع هذه اللهجة فى الكتاب الكريم – الذى هو محور هذه الدراسة – وقفنا عليها فى القراءات القرآنية لهذا الكتاب الكريم ، فمن ذلك قراءة على بن أبى طالب ، والسلمى قوله – تعالى – :﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[٣]- بالتشديد- وذكر أبو حيان بأن مقاتلاً قال :إنها لغة أزد شنوءة ، وقوله – تعالى – : ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾[٤]

يُنظر شرح الكافية الشافية ٢/١٠٤٠ ، وشرح الحدود ١٨٨و توضيح المقاصد والمسالك للمرادى ٣/ ٨٥٧و٨٨٥٨.

(١) يُنظر الكتاب لسيبويه ١ /١١٠-١١٨، وشرح الكافية الشافية ٢/ ١٠٣٠-١٠٤٠ وشرح الحدود ١٨٦- ١٨٨.

(٢) يُنظر توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادى ٣/ ٨٥٣.

(٣) سورة ص ٥/٢٨.

(٤) سورة نوح ٢٢/٧١.

بالتشديد ، قال عيسى ابن عمر : هى لغة يمانية ،هذا ولم تقتصر أبنية المبالغة على تلك الصيغ القياسية ، بل هناك صيغاً سماعية ؛منها : صيغة (فِعّيل) – بكسر الفاء وتشديد العين – كـ: شِرّيب ، وسِكّيت ، إلا أن ابن منظور قد ذكر – فيما حكاه عن أبى زيد الأنصارى – : أنه سمع رجلاً من قيس يقول : هذا الرجل سِكتيت بمعنى سِكيت ، ويُرجع الدكتور أحمد علم الدين الجندى العلة فى نشأت تلك الصيغ القيسية إلى خطأ الأطفال ، ثم أصبحت لهجة فيهم، حتى رواها أبو زيد الأنصارى .

وصيغة المبالغة هذه الفصحى بوزن (فِعَّيل) – بكسر الفاء– ،والقرآن الكريم على هذا :﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝٨ ﴾[1] و ﴿ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴾[2] أما فى لهجاتنا العامية فقد آثرت فتح الفاء حيث نسمع : سَمّيع ، حَرّيف ، وسَكّير ، ولهذا أرجح أن بعض لهجات القبائل العربية اتخذت الصيغة الأخيرة المفتوحة الفاء ، ثم تطورت فى الفصحى بكسر الفاء لعامل المماثلة والتقريب مع العين.[3]

ومنها : صيغة (فُعَلة) ، مثل : خُدَعة ؛ كثير الخداع ، ولُعَبة ؛ كثير اللعب ، وقوله – تعالى – : ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾[4] وهو العيَّاب للناس.وهاتان الصيغتان – مثل صيغ المبالغة السابقة – تبنيان من

---

(١) سورة المطففين ٨٣ /٧و٨.
(٢) سورة الفيل ١٠٥ /٤.
(٣) يُنظر اللهجات العربية فى التراث ٢/ ٦٠١و٦٠٢.
(٤) سورة الهمزة ١٠٤ /١.

الأفعال المتعدية واللازمة . كما ضمهما مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى صيغ المبالغة القياسية .[١]

بين بيان وتبيان .[٢]

عبَّر فى سياق سورة الرحمن عن البيان بالقرآن كما ذهب الزجاج ،والتبيان فى سياق سورة النحل صفة للقرآن حيثُ بيِّن فيه كُل ما تحتاج إليه أنت – يعنى محمد– صلى الله عليه وسلم – وأُمَّتك ، يقول الأزهرى : "وهذا من اللفظ العام الذى أُرِيد به الخاص والعربُ تقول : بَيَّنتُ الشىءَ تَبْييناً وتِبْياناً ، بكسر التاء .و" تِفعال " –بكسر التاء– يكون اسماً فى أكثر كلام العرب .[٣] فأما المصدر فإنه يجىء على " تَفعال " – بفتح التاء –، مثل : التَّكذاب ، والتَّصْداق ، وما أشبهه وجاء فى المصادر حرفان نادران ، وهما تِلْقاء الشىء ، والتِّبيان، ولا يُقاس عليهما ".[٤]

---

(١) يُنظر تيسيرات لغوية ٩٤و٩٦.

(٢) ورد لفظ (بيان) فى قوله – تعالى – :﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة آل عمران ٣/ ١٣٨، وورد اللفظ– أيضاً – فى سورة الرحمن٥٥/ فى الآية الرابعة ،والقيامة ٧٥/ فى الآية ١٩.

وورد لفظ (تبيان) فى قوله – تعالى– :﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ ﴾ سورة النحل ١٦ / من الآية ٨٩.

(٣) ومنه : رجلٌ تكلام ، وتلقام ، وتلعاب ، وتمساح للكذاب ، وتضراب للنافة القريبة بضراب الفحل ، وتمراد لبيت الحمام ، وتلفاف لثوبين ملفوفين ، وتجفاف لما تجلل به الفرس ، وتهواء لجزء ماض من الليل ، وتنبال للقصير اللئيم ، وتعشار وتبراك لموضعين، وزاد ابن جعوان تمثال وتيفاق لموافقة الهلال . يُنظر الدر المصون للسمين ٧ / ٢٧٩و روح المعانى١٤/ ٢١٤

(٤) يُنظر تهذيب اللغة ١٥ / ٤٩٦ و٤٩٧ : بين " .

وهذا ما أكده كُرَاعُ النمل – أيضاً- وعن أصله يقول سيبويه : إنه من بَيَّنْتُ، كالغارة من أَغَرْتُ [١] والتبيان مصدرٌ يدلُّ على التكثير على ما روى ثعلبٌ عن الكوفيين . والمبرد عن البصريين . [٢] كذلك ذكر الصَّيْمرى حيث ذكر أن هذا البناء – أعنى – بناء (تفعال) للتكثير والمبالغة عند سيبويه .[٣]

فى حين فسَّر بعضُ المفسرين التبيان بالبيان ؛وفسَّر البيان فى سياق سورة آل عمران بالشَّرْح والتَّفْسير ، كما فعل الطبرى [٤] والبيضاوى عندما فسَّر التبيان بالبيان البليغ ،وعقَّب عليه شيخ زاده فى حاشيته بقوله : " إشارة إلى أن التبيان اسم فى معنى البيان كالتلقاء فى معنى اللقاء ، كما نُقل عن الزجاج...وقوله بليغاً إشارة إلى أن صيغة (تفعال) سواء كانت مفتوحة التاء أو مكسورتها إذا كانت مصدراً أو اسماً بمعنى المصدر تكون من أبنية المبالغة وتكرير الفعل فالتكرار والتذكار ، والتلعاب ؛ بمعنى : كثرة الكرّ والذكر واللعب" [٥]

لله در ذلك العالم الذى غاص وراء القيم الدَّلالية الموجودة فى اللفظ القرآنى فعبارة الرجل تتزاحم بالظواهر اللغوية الدقيقة ،حيث يريد أن يُخبرنا بأن اللفظين وإن كانا بمعنى واحد إلا أن زيادة المبنى فى التبيان له دلالة لا تتوفر فى البيان ألا وهى التكرار كأن هذا الكتاب كلما طالعه إنسان وقف على أشياء غير

---

(١) يُنظر المحكم ١٠ / ٥٠٦ : " بين " .
(٢) يُنظر روح المعانى للألوسى ١٤ / ٢١٤.
(٣) يُنظر التبصرة والتذكرة ٢/ ٧٧٠.
(٤) يُنظر جامع البيان ٦/ ٧٥ و١٤ / ٣٣٣ .
(٥) يُنظر حاشيته ٣ / ١٩٤.

التى وقف عليها من قبل ، أو غير التى وقف عليها غيره وهذا من أسرار إعجاز القرآن الكريم .

بين جهرة و جهار .[١]

يقول الإمام الراغب: الجهر ((يُقال :لظهور الشىء بإفراط فى حاسة البصر أو حاسة السمع ، أما للبصر فنحو : رأيته جهاراً ، و أرنا الله جهرة، وأما للسمع ، فكقوله : سواء منكم من أسر القول ومن جهر به.))[٢]

ولو ذهبنا للسياق الذى ورد فيه اللفظان ، لوجدنا أن سياق سورة نوح – عليه السلام – يصف مدى عناد قوم نوح – عليه السلام – حيث سلك معهم كلَّ الطرق ، وتخولهم على جميع حالهم ، ولو كان المقصود من الجهار – هنا – معنى العلانية لجاز استعمال جهرة ، ولكن – والله أعلم – المعنى أعمق من ذلك ،ولما كان هناك من داعٍ للفظ (أعلنتُ لهم) فى الآية التالية ،ولكن سيدنا نوح – عليه السلام – كان يرمى من وراء ذكر لفظ (جهاراً) دلالة على تحمَّله معاناة شديدة فى إيصال الدعوة إليهم

---

(١) ورد لفظ (جهرة) فى قوله _ تعالى – :﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ سورة البقرة ٢/ ٥٥.
وورد اللفظ أيضاً فى سورة النساء٤ / فى الآية ١٣٥،والأنعام ٦/ فى الآية ٤٧.

وورد لفظ (جهاراً) فى قوله – تعالى – : ﴿ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ سورة نوح ٧٦ / ٨.

(٢) يُنظر المفردات ١٢١ ، و حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوى ١ / ٣٠٢، وروح المعانى ١ /٢٦٢.

، وما يتطلبه الأمر خلال الجهر من رد الفعل المباشر للناس أثناء دعوتهم ، وما يتطلبه الأمر من رفع الصوت لإسماع الجميع ، فلو كان الأمر لمجرد الإعلان ؛ لما عطف عليه فى الآية التالية الإعلان والإسرار ، ولكن الموقف كان لإقامة الحجة على القوم ، فكأن الجهار حالة اجتماع القوم فى نادٍ ، أو سوق ، أو ما أشبه ،فيكونوا شهداء على بعضهم ،وهناك أيضاً أمرٌ لعله يُفيد وهو أن دعوة نوح عليه السلام قد أصبحت مألوفة عندهم ،فهى لا تؤثر فيهم ومن هنا وضعوا أصابعهم فى آذانهم و استغشوا ثيابهم فاحتاجوا إلى جهدٍ أكبر لإيصال النداء إليهم ومن هنا كان جهاراً متواصلاً لا جهرة واحدة ، والأحوال مختلفة ومتغيرة فقد ظل يدعو زمناً طويلاً .ولذلك يقول الإمام الزمخشرى : " يجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف ، قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى الابتداء بالأهون والترقى فى الأشد فالأشد ،فافتتح بالمناصحة فى السرِّ ، فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة ، فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان.ومعنى ثُم الدلالة على تباعد الأحوال، لأن الجهار أغلظ من الإسرار ، والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما. [١] ويجوز أن يكون المصدر عينه يُفيد المبالغة كما ذكر السمين الحلبى [٢]

---

(١) يُنظر الكشاف ٤/ ١٦٢.
(٢) يُنظر الدر المصون ١٠ /٤٦٨.

بين جاهلٍ وجَهُولٍ .[١]

يقرّبُ علماء اللغة بين اللفظين كثيراً ، يقول ابن سيده : ((ورجُلٌ جاهلٌ ، والجمع جُهْلٌ ، وجُهُلٌ ، وجُهَّلٌ ، وجُهَّالٌ ، وجُهَـلاءُ ، عن سيبويه ، شَبَّهوه بفَعِيلٍ ، كما شبَّهوا فاعلاً بفَعُولٍ ... ورجُلٌ جَهُولٌ ، كجاهِلٍ ، والجمعُ جُهَّلٌ وجُهْلٌ ...))[٢]

ولكننا مع كتاب الله مرجعيتنا الأولى تعود للسياق والذى يحـدده سبب النزول؛ لأن الموقف اللغوى يكون بين متكلم ومستمع ، أو بين كاتب وقارىء ، مع الظروف والملابسات المحيطة بالكلام ؛ فالمتكلم لا يتكلم معانى والكاتب لا يكتب معانى ، والمسـتمع لا يسمع معانى والقارىء لا يقرأ معانى ؛ ، وإنما ألفاظاً وتراكيباً ، فالمتكلم أو الكاتب يمد المستمع أو القارىء بمجموعة من الرموز ليترجمها هو إلى معانيها فى إطار خبراته ، وعلى هذا فالمستمع أو القارىء لي مجرد مستقبل ، وإنما هو ناشط إيجـابى يقـوم بتلقى هذه الرموز وترجمتها إلى مدلولات معينة ،فهو يعيد تركيب الصور الذهنية والمدلولات والمعانى عن طريق الألفاظ أو الرموز والتى قد تكون متفقة أو مختلفة عن مدلولاتها عنـد المـتكلم أو الكاتب ، ويختلف المتحدثون والكتاب فى درجة الدقة والوضـوح

---

(١) ورد لفظ (جاهل) فى قولـه _ تعـالى -:﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ سورة البقرة ٢/ من الآية٢٧٣، وورد لفظ (جهول) فـى قولـه - تعالى - : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ سورة الأحزاب٣٣ / ٧٢.

(٢) يُنظر المحكم ٤ /١٦٦ " ج هـ ل "، ولسان العرب ١ / ٧١٣ " جهل ".

التى يعرضون بها أفكارهم ومشاعرهم ومشاكلهم ، وكذلك يختلف المستمعون والقراء فى درجة إدراكهم للمعانى التى يستمعون إليها أو يقرؤونها . ويمكن أن يفسَّر هذا فى ضوء الفروق الفردية واختلاف ظروف حياتهم وبيئاتهم وثقافاتهم ،ومدى قرب كل من المستمع والقارىء أو بعده عن المتكلم أو الكاتب ، ومدى فهم كل منهما لأغراض الكلام أو الكتابة ، وبناء على ذلك فإن كمال الاتصال بين المتكلم والمستمع أو بين الكاتب والقارىء يُعدُ أمراً مستحيلاً ، أو قل غير ممكناً ، فلا يمكن أن يحدث أن يتكلم المتكلم فيفهم المستمع المعانى التى يقصدها المتكلم كاملة دون زيادة أو نقصان ، حتى لو كان تربيا فى ظروف واحدة تماماً أو كان توأمين ذوى مشيمة واحدة ، كما أن كمال الانقطاع كذلك أمر مستحيل ، أو غير ممكن ، فمهما اختلفت ظروف وبيئات وثقافات المتكلم والمستمع أو الكاتب والقارىء ، فما دامت الرموز- الألفاظ والتراكيب - التى يستخدمانها واحدة فلا بد أن يحدث بينهما نوع من التفاهم مهما كان قليلاً وبين كمال الاتصال وكمال الانقطاع يتوزع الناس فى قدراتهم اللغوية كلاماً واستماعاً وقراءة وكتابة [١] – ومن هنا- برز الدور الخطير للعنصر الثالث من عناصر الموقف اللغوى ؛ وهو: " الظروف والملابسات المحيطة بالكلام " والى يمثلها سبب نزول الآية فى السياق القرآنى ، سبب ورود الحديث فى السياق النبوى.

---

(١) يُنظر تدريس فنون اللغة العربية ٣٩- ٤١و ٧٧-٧٩ تصرف كبير.

وعند تطبيق هذا الكلام على السياق الذى – معنا – فقد أخـــرج أبو نعيم فى " الحلية " عن فَضَالةَ بن عبيدٍ قال : كان رسولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – إذا صلَّى بالناس يخـــرُّ رِجـــالٌ مـــن قيامهم فى صلاتهم لما بهم من الخصاصة ،وهم أصحاب الصُّـــفَّة حتى يقولَ الأعرابُ : إن هؤلاء مجانين " .(١)

فالجاهل– هنا – قد اكتسب هذه الصفة بمساعدة خارجية وهـــو التخفى الشديد لهؤلاء الفقراء خلف رداء التعفف لا يعـــرفهم إلا من يخبرهم ويعلم حالهم ، أما الجهول فى السياق الثانى فالأصل أنه قد خير فى أمر اعتقد هو أنه يعلم أبعاده وعواقبـــه ، فهـــو المسئول عن اختياره ، فعبَّر – هنا _ بصيغة تدلُّ على أنـــه قـــد عزم على أمرٍ غير مأمون العواقب ، ناهيك عن عدم اقتفائه أثر من هم أقوى منه ومع ذلك فقد حزموا أمرهم فى طريق السلامة .فالجهل فى السياقين ليس له علاقة بالسوء إنما له علاقة بسوء التقدير ،فالأول أساء التقدير فى الحكم على هؤلاء الأُناس الـــذين يسقطون على الأرض من دون علة ظاهرة له ، والثـــانى أســـاء تقدير مشقة حمل الأمانة ، ولما كان للثانى بعض الجنايـــة عبَّـــر معه بالجهول .

وعلى ذلك فلفظ (جَهول) أزيد فى الدَّلالة من صاحبه (جاهـــل) ولا ننسى أن صيغة فَعُول محولة عن صيغة فاعل والمحول أزيـــد فـــى المعنى ؛ يقول شيخ زادة – نقلاً عن الزمخشرى – قوله : كل مـــا هو معدولاً عن معدول عن أصل فهو أبلغ من أصله . (٢)

---

(١) يُنظر الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣ /٣٣٤.
(٢) ينظر حاشية شيخ زادة ١ / ٢٧و٢٨.

بين الحِلِ والحَلال .[١]

وهما فى اللغة بمعنى واحد يقول الخليل : ((والحِلُّ : الحَلالُ نفسه ، لا هُنَّ حِلٌّ .))[٢] ويقول الأزهرى : ((...يُقال : هذا حِلٌ لك وحلال كما يُقال لضده : حِرْم وحرام ؛ أى مُحرَّمٌ .))[٣]

ويقول الزمخشرى :((حل له كذا فهو حِلٌّ وحَلالٌ. وأحله الله وحللـه: ضد حرّمه.وحل المحرم وأحل فهو حِلٌّ وحَلالٌ ومحل)).[٤]

ويقول الجوهرى :((والحِلُّ – بالكسر –: الحلالُ ، وهو ضد الحرام...)). [٥] ورغم هذا التقارب الملحوظ بين اللفظين إلا أنه يبقى للثانى زيادة فى الدَّلالة ليست فى الأول ؛وذلك راجع إلى زيادة مبناه لقوة معناه ولو راجعنا السياقات الوارد فيها اللفظين لوقفنا على ذلك دون عناء و وجدنا لفظ الحلال مرتبط دائماً بالأمور المراد إثبات قوتها فى الحِل لا مجرد الإخبار بحلها فلفظ الحلال فى سياق سورة البقرة مثلاً قد جاء تعريضاً بتحميقهم فيما أعنتوا به أنفسهم فحرموها

---

(١) ورد لفظ (حِل) فى قوله _ تعالى – : ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾ سورة آل عمران ٣/ من الآية٩٣،وفى سورة المائدة ٥ / من الآية ٥، وسورة الممتحنة٦٠/ من الآية ١٠ ، وسورة البلد ٩٠ / من الآية ٢ ، وورد لفظ (حلال) فى قوله – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ سورة البقرة ٢ / من الآية١٦٨ ، وفى سورة المائدة ٥/ من الآية٦٩ ، وسورة الأنفال ٨ / من الآية٨٨ ، وسورة يونس ١٠ / من الآية ٥٩،وسورة النحل ١٦ / ١١٦.

(٢) يُنظر العين ١ / ٣٥٠ " حلل ".

(٣) يُنظر أساس البلاغة ١ / ٢١٠ " حلل ".

(٤) يُنظر التهذيب ٣ / ٤٤٠ " حلل ".

(٥) يُنظر الصحاح٤ / ١٦٧٢ " حلل ".

من نعم طيبة افتراء على الله ويعين على معرفة السياق معرفة سبب النزول فقيل نزلت فى ثقيف ، وبنى عامر بن صعصعة ، وخزاعة ، وبنى مدلج ؛ حرَّموا على أنفسهم من الأنعام مما ذُكر فى سورة الأنعام ؛ فالمقصود إبطال ما اختلقوه من منع أكل البَحِيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحامى.

أما سياق سورة آل عمران فالخطاب مختلف فالمراد إثباته فى السياق ليس مجرد الحِل من الحرمة وإنما إثبات أن دين اليهودية ليس من الحنيفة فى شىء ، فإن الحنيفة لم يكن ما حُرَّم من الطعام بنصّ التوراة محرَّماً فيها ، ولذلك كان بنو إسرائيل قبل التوراة على شريعة إبراهيم – عليه السلام – فلم يكن محرَّماً عليهم ما حُرَّم من الطعام إلا طعاماً حرَّمه يعقوب – عليه السلام – على نفسه . والحجة ظاهرة ويدلّ لهذا الارتباط قوله فى أخرها ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) . (٢)

ويدلُّ على ذلك أيضاً أن الطَّيِّبَ فى سياق آية سورة البقرة الحلال، فهو تأكيدٌ لاختلاف اللفظ ، وهذا قولُ الإمام مالك فى الطَّيِّبِ .

وقال الإمام الشافعىُّ : الطَّيِّبُ المُستَلَذُّ ، فهو تنويع ؛ وهو قريب من الأول حيثُ إن الحلال مُستَلَذٌّ من غير شكٍ ؛ فالسياق مُنْصبٌ على إثبات الحِل ونفى الحُرمة. (٣)

---

(١) سورة آل عمران ٣ / ٩٥.
(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢/ ١٠٢.
(٣)ينظر الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٤٩٥.

بين خَرجٍ وخَراجٍ .[١]

وهما فى اللغة بمعنى واحد ؛ يقول الخليل : " والخَرْجُ والخَراجُ : ما يخْرَجُ من المال فى السَّنة بقَدَرٍ مَعْلوم ."[٢]

ويقول الأزهرى :" والخَرْجُ : أن يُؤَدِّىَ إليك خَرَاجَهُ ؛ أى غَلَّتَهُ، والرَّعِيَّةُ تؤدِّى الخَرْجَ إلى الوُلاةِ ."[٣]

ورغم أنهما فى اللغة بمعنى واحد ورغم أنه جاز فى القراءة بهما فى سياق سورتى الكهف و المؤمنون إحلال أحدهما مكان صاحبه[٤]إلا أن زيادة المبنى قد استتبعتْ الزياة فى المعنى لا محالة، أو قوى اللفظ لقوة المعنى ؛ ولا أدل على ذلك من استعمال الخَرْج مع عطاء العبد والخراج مع عطاء الربِّ؛قال تعالى :﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ وهذا ما ذهب إليه الإمام ابن خالويه : أما قوله (فخراج ربك) فبالألف بالإجماع ، لأنه مكتوب فى السواد

---

(١)ورد لفظ (خرجاً) فى قوله _ تعالى – :﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ سورة الكهف١٨ / من الآية٩٤،وفى سورة المؤمنون٢٣ / من الآية ٧٢.

وورد لفظ (خراج) فى قوله – تعالى – : ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ من سورة المؤمنون ٢٣ /٧٢ .

(٢) ينظر العين ١/ ٣٩٦ " خرج ".

(٣) ينظر التهذيب ٧/ ٤٨ " خرج ".

(٤) قرأ ابن عامر " خَرْجاً " فى الكهف والمؤمنين – بسكون الراء،والأخوان– حمزة والكسائى – " خراجاً " " فخراج" فى السورتين بالألف ، والباقون كقراءة ابن عامر فى سورة الكهف ، والأول فى المؤمنين وفى الثانى وهو " فخَراج " كقراءة الأخوين .

يُنْظر الحجة لأبى على الفارسى ٥ / ١٧٤ ،والكافى فى القراءات السبع ١٥١.وفريدة الدهر٣ / ٥٣٨.

بالألف[١]؛وما جاء غير ذلك فهو شاذٌ[٢] .ومما يقوى فكـرة زيـادة المعنى لزيادة المبنى هذا الكلام الصريح من ابن عطية :" ...الخَرْج : المال يخرج مرة ، والخراج : المجبى المتكرر..." [٣]فزيادة المبنى ، وقوة معناه جعلته المجبى المتكرر.

وقد جمع بين القولين كثيرٌ من علمائنا ؛ فيقول السمين :" فقيـل : هما بمعنى واحد كالنَّوْال والنَوال . وقيل : الخراجُ بالألف ما صُـرِفَ على الأرض من الإتاوة كلَّ عامٍ ، وبغير ألفٍ بمعنى الجُعْل ، أى : نُعْطيك مِنْ أموالنا مرةً واحدة ما تستعين به على ذلك .وهذه التفرقة تؤيّد الاتجاه نحو إبراز وجهة نظر الباحث . وقيل الخَرْج ما كان على الرؤوس ، والخراج ما كان على الأرض ، يقال : أَدِّ خَرْجَ رأسِـكَ ، وخراجَ أرضك .قاله ابن الأعرابى .وقيل : الخَرْجُ أخصُّ ، والخـراجُ أعمُّ قاله ثعلبٌ. وقبل : الخَرْجُ مصدرٌ ، والخَراج اسم لما يُعطـى [٤]، ثم قد يُطلق على المفعول المصدرُ كـالخَلْق بمعنـى المخلـوق .[٥] وينافح النحاس عن القول بالفرق بينهما فيقول بعد القـول بـالفرق السياقى بينهما يبين أنهما يفترقان لغوياً – أيضاً– فيقول : " وكـذلك فى اللغة ، يُقالُ : لك عندى خَرْجٌ أى عطيَّةٌ وجُعْلٌ ، والخَراج : هـو المتعارف ، وإن كان أصلُهُ مِنْ ذَا ".[٦]

---

(١) ينظر الحجة ٢٣٢.

(٢) يقول الزجاج : " ويقرأ :﴿خِراجاً فخراج ربك خيرٌ ﴾ويجوز خَراجاً فخَـرْج رَبِّك خَيْرٌ ". ينظر معانى القرآن ٤ / ١٩.

(٣) يُنظر المحرر الوجيز ٣/ ٥٤٢.

(٤) وهو قول الفراء على ما فى معانيه ٢/ ١٥٩.

(٥) ينظر البحر المحيط ٦/ ١٥٤و١٥٥و الـدر المصـون ٧/ ٥٤٧والجـامع لأحكام القرآن للقرطبى١٣ / ٣٨٣.

(٦) يُنظر معانى القرآن للنحاس ٤ / ٢٩١.

بين خالق وخلاَّق. [١]

وهما من أسماء الله – عزَّ وجلَّ– وهما – وعلى ما يُفْهم من اللغويين بمعنى واحد ؛ يقول الأزهرى : " ومن صفات الله :

الخالق والخلاَّق ولا تجوز هذه الصفة – بالألف واللام – لغير الله جلَّ وعزَّ ".[٢]

و يقول ابن سيده : " الخالِقُ والخَلاَّقُ : اللهُ عزَّ وجَلَّ ... "[٣] ولكن زيادة المبنى يستبعه– أيضاً – زيادة فى المعنى حيث وقع لفظ الخلاَّق فى سياق التعليل لأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالعفو والصفح عن هؤلاء المشركين وأعلمه أنه خلاَّقٌ عليمٌ ، حيث يخلق من أصلابهم من يقول : لا إله إلا الله ، فالأمر شديد فوجود خلاَّق مناسب للسياق الموجود فيه بخلا ف الخالق ، ومما يُقوى هذا التوجّه ما قاله الألوسى و البيضاوى : " من أن زيد ابن على – رضى الله عنهما – والجحدرى ، والأعمش ،ومالك ابن دينار قد قرءوا (هو الخالق) وكذا فى مصحف عثمان وأُبىّ – رضى الله

---

(١) ورد لفظ (خالق) فى عدة مواضع منها قوله _ تعالى _ : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ سورة الأنعام ٦/ من الآية١٠٢ ، وفى الآية ١٦ من سورة الرعد ، والآية ٢٨ من سورة الحجر ، والآية ٧١ من سورة ص ، والآية ٦٢ من سورة الزمر ، والآية ٢٤ من سورة غافر ، والآية ٢٤ من الحشر.وورد لفظ (خلاَّق) فى قوله – تعالى –:﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ سورة الحجر ١٥/ من الآية ٨٦. و الآية ٨١ من سورة يس.

(٢) يُنظر المحكم ٤ / ٥٣٥ " خ ل ق " .

(٣) يُنظر التهذيب ٤ / ٢٦ " خلق ".

عنهما- هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاَّق يختص بالكثير ".[١]

واستدل ابن جنى بقراءة " الخالق " على أن (فَعَل)الخفيفة فيها معنى الكثرة كفعَّل الثقيلة، ألا ترى إلى قراءة الجماعة : " الخَلاَّق " ؟وهذا للكثرة لا محالة . نعم ، وقد قرن به العليم ، وفعيل للكثرة .وكأن الخلاَّق الموضوع للكثرة أشبه بعليم ؛ لأنه موضوع لها ، فلولا أن فى خَلَق معنى الكثرة لما عُبِّر بخالق عن معنى خلاَّق .ومنه قوله :﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾[٢] ألا تراها فى معنى غفَّار وقبَّال؟ وعليه ما أنشده أبو الحسن :

أنتَ الفِداءُ لقِبلة هَدَّمْتَهَا ونَفَرْتَهَا بيديك كل مُنَقَّر

فوضع (نَقَرْتَ) موضع نَقَّرْتَ ، وعليه جاء بالمصدر دالاً على الجنس، وإذا افضت بك الحال إلى عموم الجنسية فقد اغْتَرَقْتَ وتجاوزت حد الشِّيَاعِ والكثرة [٣]

فالعلامة ابن جنى هنا يحتج لتلك القراءة الشاذة المخالفة لقراءة الجماعة ؛ كى يستدل بها على إثبات قضية لغوية ؛وهى : جواز أداء الوزن المخفف دور المثقَّل – أحيانا – فأقول رداً على هذا الكلام الجيد إنه يجوز فى تقعيد القواعد ، لا فى السياق القرآنى فكل سياق له عناصر تقوم به ولا يخفى على أحد أن السياق – هنا – يحتاج إلى اللفظ المختص بالكثرة لا اللفظ الصالح للقليل والكثير .

---

(١) يُنظر روح المعانى ١٤ / ٧٨ وحاشية شيخ زادة ١٦١/٣.
(٢) سورة غافر ٤٠/ من الآية ٣.
(٣) يُنظر المحتسب ٢/ ٦.

ولو ذهبنا لبنية اللفظين لوجدنا اشتراكهما فى الحروف ؛فكلاهما بـــه (الخاء ، والألف ، واللام ، والقاف) وزاد لفـــظ (خَـــلاَّق) بـــاللام الساكنة وهى لام التضعيف وليست اللام المفردة فى القوة كالمضعفة فى المبنى ولا فى المعنى ، حيث إن المضعّفة لامين الأولى ساكنة – لغرض الإدغام – والثانية متحركة .بالإضافة إلـــى أنَّ وزنَ (فعَّـــال) مُحَوّلٌ عن وزن (فاعل) ومعلوم أن المُحَولَ أقوى دلالة من المحول عنه وإلا فما الغرض من التحوّل . ؛ يقول شيخ زادة – نقلاً عـــن الزمخشرى – قوله : كل ما هو معدولاً عن معدول عن أصل فهـــو أبلغ من أصله . (١)

بين الرَّحْمَان والرَّحيم .(٢)

تتجلى قضية قوة اللفظ لقوة المعنى فـــى معالجـــة هـــذين اللفظـــين الكريمين أيما تجلى ؛ حيث لن يخفى عليك كثيراً الوقوف على تلك القضية فى أقوال علمائنا :

يقول الإمام الزجاج : " ولا يجوز أن يُقال (الرَّحْمَان) إلا لله ، وإنما كان ذلك ؛ لأَنَّ بناءَ فَعْلان من أبنية ما يُبالغُ فى وَصْفيه..." (٣)

ويقول ابن عطية :والرَّحْمان على وزن (فَعْلان) وهو أبلـــغ مـــن (فَعِيل) و فَعِيل أبلغ من (فاعل) ؛ لأن راحماً يُقال لمن رحم ولـــو

---

(١) ينظر حاشية شيخ زادة ١ / ٢٧و٢٨.

(٢) ورد اللفظان فى البسملة الآية الأولى والثالثة لفاتحة الكتاب الكريم﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، ووردا مجتمعين – أيضاً – فى سورة البقـــرة ٢ /من الآية ١٦٣، وسورة النمل ٢٧ / من الآية ٣٠ ، وسورة فصـــلت ٤١ / من الآية ٢ ، وسورة الحشر ٥٩/ من الآية ٢٢.

(٣) يُنْظر معانى القرآن ١ / ٤٣.

مرة واحدة ، ورحيماً يُقال لمن كثر ذلك منه ، والرَّحْمان النهاية فى الرحمة . (١)

وما قاله الزجاج وابن عطية يبدو فيه الحديث عن قضية زيادة المعنى لزيادة المبنى ما أروع هذا التحليل الدَّلالى للقيم الدَّلالية والتعبيرية للحرف ، عند الزجاج وابن عطية ؛ حيث يشير ابن عطية إلى قضية التحول من صيغة (فاعل) إلى أبنية المبالغة – فى حين – يبدو الفكر الدلالى أكثر وضوحاً عند الإمام الزمخشرى – تجاه هذه القضية ؛ وإن كان فى كلامه يبدو متأثراً بعبارة الزجاج – ؛حيث قال : إن الرَّحْمان أبلغ ، ولذلك لا يُطلق على غير البارى – تعالى – ،وجعله من باب : غَضْبان وسَكْران للممتلىءِ غَضَباً وسُكْراً ، ولذلك يقال : رحمان الدنيا والآخرة ورحيم الآخرة فقط ، ويعلل لتلك القيم الدَّلالية الموجودة فى لفظ (الرَّحْمان) بقوله :" إن الزيادة فى البناء لزيادة المعنى " (٢)

واعترض على ذلك ابن المنير ؛ بقوله :لا يتم الاستدلال بقصر البناء وطوله على نقصان المبالغة وتمامها ألا ترى بعض صيغ المبالغة كـ (فعل) أحد الأمثلة أقصر من (فاعل) الذى لا مبالغة فيه البتة . (٣)

فيبدو أن ابن المنير لا يرى أن القضية تسير على وتيرة واحدة ؛ فهذه القاعدة نقضت بالصفة المشبهة والتى قَلّتْ حروفُها عن حروف اسم الفاعل ، نحو : حذر وحاذر ، فإن الأول لدلالته على الدوام

---

(١) يُنْظر المحرر الوجيز ١ / ٦٣.
(٢) ينظر الكشاف ١ / ٤١-٤٥بتصرف كبير.
(٣) نفسه ١ / ٤١-٤٥.

والثبوت أزيد معنى من الثانى ، مع أن الثانى أزيد حروفاً بالنسبة إلى الأول.

ويُجِيبُ شيخ زادة عن تلك الشبهة فى قضية زيادة البناء لزيادة المعنى بقوله : " إن ذلك أى كون الزيادة فى البناء لزيادة المعنى مشروط بعدم كون البناءان مشتقين من أصلٍ دلالىّ واحدٍ باتحادهما فى النوع ، كصد وصديان ، وغرث وغرثان وفرح وفرحان فإن الكلَّ من نوعٍ واحدٍ ؛ لأنها صفة مشبهة ، فلا يرد النقص بنحو : حذر وحاذر ؛ لأنهما وإن كانا مشتقين من أصلٍ واحدٍ إلا أنهما نوعان ، فإن حاذراً اسمُ فاعلٍ وحذراً صفةٌ مشبهةٌ ، والغرث : الجوع ، يُقال : غرث يغرث ، من باب علم فهو غرثان، والصدى : العطش ، يُقالُ : صدى يصدى من باب علم – أيضاً– فهو صديان وصدّ .

وقد يُجاب – أيضاً – بأن القاعدة (أكثرية لا كلية) ، ثم إنه لما ذكر أن الرَّحمان أبلغ من الرحيم لما اشتهر من أن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى ، بيَّنّ وجه الزيادة فى رحمان ، فقال : وذلك أى زيادة المعنى فى رحمان ؛ إنما تؤخذ تارة باعتبار الكمية وأخرى باعتبار الكيفية . (١)

ويُفصّل ذلك الشريف الجرجانى بقوله: " تلك المبالغة إما بحسب شمول الرَّحْمان للدارين واختصاص الرحيم بالدنيا كما فى الأثر الذى رواه ، وإما بحسب كثرة أفراد مرحومين وقلتها ،وإما بحسب جلالة النعم ودقتها كما اختاره فى التسمية .ثم افترض الزمخشرى أن أحداً قد اعترض عليه وقال: كان القياسُ الترقَّى من الرفيق إلى الأرفق ؛

---

(١) ينظر حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوى ١ / ٢٧و٢٨.

يعنى : بالرفيق؛ الرحيم ، إلى الأرفق يعنى الرحمان ؛ من الرفق قال – صلى الله عليه وسلم – : " إن اللهَ رفيقٌ يحبُّ الرِفقَ ، ويُعطى عليه ما لا يُعْطى على العنف " (١) وقوله – صلى الله عليه وسلم – : " وأمَّا الرحيمُ فالرفيق بالمؤمنين خاصة ." (٢)

وأجاب على ذلك بقوله :إن الله – سبحانه وتعالى – أَرْدَفَ الرَّحْمـــان الذى يتناول جلائل النعم وأصولها بالرحيم ؛ ليكون كالتتمَّة والرديف ليتناول ما دقَّ منها ولطف. (٣)

وقال ابن الأثير : " ... وهما من أبنية المبالغة ورحمان أبلـــغ مـــن رحيم ..." (٤)

وأما لفظ (رحيم) فهو (فَعِيل) محوَّل من فاعل للمبالغة وهو أحـــد الأمثلة الخمسة وهى : (فَعَّال ، وفَعُول ، ومِفْعَال ، وفَعِيل ، وفَعِل) وزاد بعضهم (فِعِّيلاً) نحو : سِكِّير . (٥)

يقول السمين :الظاهر أن جهة المبالغة فيهما مختلفـــةٌ ، فمبالغـــة " فَعْلان " من حيث الامتلاءُ والغلبة ومبالغة " فعيل " من حيث التكـــرار والوقوع بمحَالّ الرحمة. (٦)

وأما اشتراكهما فى أصل المبالغة ؛ فلما نقل عن الزمخشرى أنه قال : كل ما هو معدولاً عن معدول عن أصل فهو أبلغ من أصله فعلـــى

---

(١) ينظر الحديث فتح البارى لابن حجر الاستبانة١٢/٢٨٠ وصحيح مسلم كتاب البر٤/٢٠٠٤.

(٢) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ سورة الأحزاب ٣٣/من الآية ٤٣.

(٣)ينظر الكشاف ١ / ٤١-٤٥بتصرف كبير.

(٤)ينظر النهاية ٢١٠ " رحم ".

(٥)يُنظر البحر المحيط لأبى حيان ١/ ١٢٥.

(٦)ينظر الدر المصون ١ / ٣٣.

هذا يكون : رحيم ورحوم ورحمان للمبالغة لكون كل واحد معـدولاً عن راحم وأما كون رحمان أبلغ منه فقد استدل عليه بما اشتهر من أن زيادة البناء تكون لزيادة المعنى كما فى قطع وقطَّع فإن التشديد فى الثانى للتكثير. (١)

فالزيادة فى البناء – كما يقول الفاكهى- تَدُلّ على زيادة المعنى ، كما فى قَطَع وقَطَّع . (٢)

بين زاهق و زهُوق . (٣)

وهما فى اللغة بمعنى واحد يقول ابن سيده : ((زَهَق الشىءُ يَزهَـق زُهُوقاً ، فهو زاهِقٌ و زَهُوقٌ : بَطَلَ وهَلَكَ ...)) (٤)

وذهب بعض اللغويين إلى التفريق بينهما كمـا يُفْهـمُ مـن عبـارة الجوهرى التالية : ((زَهَقَ العظم زهوقاً ، أى اكتنز مخَّه وزهَقَ المخُّ ، إذا اكتنز فهو زَاهِقٌ ، عن يعقوب)) (٥) ولعل مثل هذا الكلام الكلام ما دفع الزمخشرى إلى القول بأن مـن المجـاز : وزهـق الباطل فإذا هو زاهق وسهم زاهق(٦) أى عندما يُذهب الحقُ الباطـلَ فيكون زاهق، أما الباطل فى نفسه زهوق ،وعليه فكلا اللفظين فـى

---

(١)ينظر حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوى ١ / ٢٧و٢٨.
(٢) ينظر شرح الحدود ١ / ٣٣.
(٣) ورد لفظ (زاهق) فى قوله _ تعـالى _ : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ سورة الأنبياء ٢١/ من الآية١٨.
وورد لفظ (زَهُوق) فى قوله – تعالى – : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ سورة الإسراء١٧ / من الآية ٨١.
(٤) يُنظر المحكم ٤/ ١١٨و ١١٩ " ز هـ ق " .
(٥) يُنظر الصحاح ٤ /١٤٩٢ و١٤٩٣ " زهق " .
(٦) يُنظر أساس البلاغة ٤٢٨ " ز هـ ق " .

سياقهما الدقيق وكلاهما يمتاز عن صاحبه فى ملمح معين فإذا قوّينا زهوق على أساس أن الصفة قد لازمت الباطل حتى لا يُستحضر الباطل إلا وعلمتَ أنه لا محالة زائل لأنه زهوق ، وإذا علمنا أن الذى يُزهق الباطلَ دائماً إنما هو الحق قوّينا زاهق،وحتى يخرج العلماء من ذلك قالوا إن استعمال أحدهما مكان صاحبه من قبيل المجاز . (١)

بين ساحر وسحَّار : (٢)

وقد فرَّق علماءُ اللغة بينهما ؛ فقالوا : " رجلٌ ساحِرٌ ، من قومٍ سَحَرَةٍ وسُحَّارٍ ، وسَحَّارٍ من قوم سَحَّارين ، ولا يُكَسّرُ ." (٣)

والبعض يجعلهما من المترادفات ؛ فيقول :" والسحَّار مرادف للساحر فى الاستعمال ؛ لأن صيغة فَعَّال هنا للنسب دلالة على الصناعة مثل النجار والقصار ولذلك أتبع هنا وهنالك بوصف " عليم " ، أى قوى العلم بالسحر، وبداية الكلام مخالف لختامه حيث أثبت الفرق بينهما حيث جعل المضعف للأكثر علماً فى هذا المجال." (٤) لأن سحَّاراً – أصلاً – صيغةُ مبالغةٍ ، ولذا ألحقها بـ (عليم) للدَّلالة على تمكنه من فنون السِّحر وألاعيب السحرة .(٥)

---

(١) يُنظر لسان العرب ٣ /١٨٧٩ و١٨٨٠ " زهق " .

(٢) ورد لفظ (ساحر) فى قوله _ تعالى _ :﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ سورة الأعراف ٧ / ١٠٩ وورد – أيضاً- فى سور يونس / ٧٩ ، وطه ٦٩ ، والشعراء ٢٦ / ٣٤ ، وص / ٤ ، وغافر / ٢٤ ، و الزخرف / ٣٩ ، والذاريات / ٥٢ ، وورد لفظ (سحَّار): فى قوله – تعالى – :﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ سورة الشعراء٢٦/ ٣٧ .

(٣) يُنظر المحكم والمحيط ٣/ ١٨٢ " سحر ".ولسان العرب ١٩٥١/٣ " سحر".

(٤) يُنظر التحرير والتنوير ١٧ / ١٢٥.

(٥) يُنظر الشيخ الشعراوى ١٠٥٦٤

بين شرعة وشريعة: [١]

و الأصل اللغوى لهما : من شرعتُ الاهاب ؛ إذا شققته وسلخته ، أو أنه مأخوذ من الشروع فى الشىء وهو الدخول فيه ، وعرفها العربى أول ما عرفها لمورد الإبل من الماء الجارى الكثير ، كالأنهار والأودية ، ثم استعيرا لما شرعه الله – تبارك وتعالى – ؛ لأن فيه شفاء النفوس وطهارتها ، فهى من الألفاظ اللغوية المتطورة بمجىء الإسلام ، حيث خصصها الشرع من معناها الحسى المعروف لدى العربى إلى معناها المتعارف عليه شرعاً ؛ ومال بعضُ علمائنا إلى التسوية بينهما حيث جعلهما ؛ لكلٌّ ما شرع اللهُ للعباد من أمر الدين؛ والجمع(شَرَع) و(شرائع)[٢] بينما مال فريقٌ أخر إلى التفرقة بينهما – والباحث معهم – خاصة – فى السياق القرآنى الكريم ؛ ومن أقوالهم : والشِّرعة والشريعة فى كلام العرب : المَشْرعة التى يشرعها الناس فيشربون منها ويستَقُون ، وربما شرَّعوها دوابَّهم حتى تشرعها وتشرب منها . والعرب لا تُسمِّيها شريعة[٣] حتى يكون الماء عِدًّا لا انقطاع له ويكون ظاهراً مَعِيناً لا يسقى منه بالرَّشاء .

---

(١) ورد لفظ (شرعة) فى قوله _ تعالى _ :﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ سورة المائدة ٥/ ٤٨.وورد لفظ (شريعة) فى قوله – تعالى – :﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سورة الجاثية ٤٥/ ١٨.

(٢) يُنظر العين للخليل٢ /٢٢٣و ٢٢٤" شرع " ، والمقاييس فى اللغة لابن فارس ٥٥٥ " شرع " ، والصحاح للجوهرى ١/ ١٢٣٦" شرع " ، والكليات للكفوى ٥٢٣و٥٢٤.

(٣)وفى المصباح المنير للفيومى – نقلاً عن الأزهرى – والعرب لا تسميها (مشرعة) وهو لا ينفى الفرق بين الشرعة والشريعة ينظر المصباح ١٦٢" شرع " .

وإن كان ماء السماء والأمطار فهو الكـــرع ، وقـــد أكرهـــوا أبلهـــم فكرعتْ فيه ، وقد سقوها الكرَع. [١] والذى يؤيد ذلك أن شريعة قد جاءت وصفاً لشريعة فاقت شريعة موسى – عليه الســـلام – وهـــى شريعة محمد – صلى الله عليه وسلم – فالآية فـــى ســـياق ســـورة الجاثية مع إيجازها أفادت تلك الأفضلية المقصودة من قِبَلِ اللهِ – عزَّ وجلَّ – بدليل قوله – تعالى –﴿ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فالذى يحدد السياق القرآنى هو سبب النـــزول[٢] أم الشـــرعة فهـــى ابتداء طريق الهداية ، فمنهم من يهتدى ومنهم من يضل ؛ بدليل أن الله – سبحانه وتعالى – فى سياق سورة المائدة قـــد ذكـــر بعـــدها المنهاج ؛ وهو الطريق المستمر [٣] ؛ أى أوضحنا طريق الهدايـــة ، وهى : الشِّرعة ، فمن أهتدى ؛ صار على شريعة – كما وصف محمد فى سياق الجاثية ؛ فزيادة المبنى أدى من غير شـــك إلـــى زيـــادة المعنى – والله أعلم –. ولماذا نذهب بعيداً ؟ فبعودة سريعة لســـياق سورة المائدة نجد أن الله – سبحانه وتعالى ـ يُخْبر نبيّهَ مُحمـــداً – صلى الله عليه وسلم – بأنه قد أنزل عليه كتاباً ؛ هو المهيمن علـــى كُلِّ الكتبِ ؛ وأمره بأن يَحْكُم بينهم بما أنزل عليـــه فيـــه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ فالسياق هو خير معين على تحديد مرادِ الحق – تبـــارك وتعـــالى –

---

(١) يُنظر تهذيب اللغة للأزهرى ١ /٤٢٥" شرع " .
(٢) يُنظر مفاتيح الغيب للرازى ١٢/ ١٤وروح المعانى للألوســـى٦ / ١٥٣. و التحرير والتنوير ٦ /٢٢٣، ١٥ /٣٤٨.
(٣) يُنظر نحو ذلك فى الدر المصون للسمين الحلبى ٤/ ٢٩٣

ومعرفة السياق لا يتحقق من دون معرفة سبب النزول ؛ وكلها أدوات للوقوف على القيم الدَّلالية الموجودة فى الذكر الحكيم .

بين الإصباح والصُّبْح والصَّباح: (١)

يقول الخليل : " والصُّبْحُ والصَّباحُ : هما أوَّل النهار." (٢) قال الأزهرى : " ... وهو الإصباح – أيضاً– ..."(٣)

ورغم هذا التقارب اللغوى ؛ إلا أن السياق القرآنى قد وضع كل لفظ من هذه الألفاظ فى الموضع الذى لا يصح فيه غيره ، مما يُوحى بأنها – أى الألفاظ – لا يوجد بينها ترادفاً تاماً وإنما شبه ترادف – إن جاز التعبير – وعليه فلا مناص من الرجوع إلى السياقات التى وردت فيها هذه الألفاظ حتى نقف على تلك الفروق الدقيقة .

لفظ (الإصباح)– بكسر الهمزة – فى الأصل مصدر أصبح الأفُق، إذا صار ذا صباح .وقد سُمِّى به الصباح ، وهو ضياء الفجر أو أوّل ما يبدو من النهار ، فيقابل الليلَ وهو المراد فى

---

(١) ورد لفظ (الصبح) فى قوله _ تعالى – :﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ سورة هود ١١ / من الآية٨١ ، وفى سورة المدثر٧٤ / من الآية ٣٤وسورة التكوير٨١/ ١٨.وسورة العاديات١٠٠ / من الآية ٣وورد لفظ (صباح) فى قوله – تعالى – :﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ من سورة الصافات٣٧ /١٧٧وورد لفظ (الإصباح) فى قوله تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ سورة الأنعام ٦ / من الآية ٩٦.

(٢) ينظر العين ٢/ ٣٧٥ " صبح " ، و المقاييس لابن فارس ٥٨٤ " صبح ".
(٣) ينظر التهذيب ٤/ ٢٦٣ " صبح " ، ولسان العرب لابن منظور ٢٣٨٨/٤" صبح".

سياق سورة الأنعام.وفلق الإصباح استعارة لظهور الضياء فى ظلمة الليل ، فشبه ذلك فلق الظلمة عن الضياء، كما استعير لذلك أيضاً السَّلخ فى قوله تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾[1] فإضافة " فالق " إلى " الإصباح " حقيقة وهى لأدنى ملابسة على سبيل المجاز .

لفظ (الصُّبح): ورد هذا اللفظ فى سياق الأمر الصادر إلى نبى الله لوط – عليه السلام – بالخروج مع المؤمنين من قومه ليلاً وجاءت الإجابة لسؤال لم يُسأل صراحة أوعلى أن لوطاً – عيه السلام – قد سأل جبريل – عليه السلام – فقال له : إننا لم نؤمر بذلك. إن موعدهم الصبح ؛أى عندما يصبحون ، حتى يشاهدوا مصيرهم وهلاكهم ، وحتى يكون لوط ومن معه قد ابتعدوا من مكان الهلاك فالأمر ، يتطلب وقتاً ، لذا استخدم لفظ (الوعد) ولم يستخدم لفظ (الوعيد) لأن الثانى لتعيين الشرِّ فى أقرب وقتٍ ، أما الأول فيستخدم على تعيين الشرِّ فى المستقبل ، فالوعد أعمّ من الوعيد . فكأن لوط عليه السلام كان يريده وعيداً فقال الله تعالى : "أليس الصبح بقريب " فالصبح فى هذا السياق هو لأول النهار المتعارف عليه بين الناس وليس أول انفلاقه من الليل فيكون إصباحاً بدليل أن جبريل – عليه السلام – عندما رفع القرية بجناحه إلى السماء سمع أهلُ السماء نُباحَ كلابهم ، وأصوات ديوكهم ، وهذه الأصوات تصدر – عادة – بعد انفلاق

---

(١) سورة يس ٣٦ / من الآية ٣٧.

الإصباح بقليل ؛ لأنها إنما تفعل ذلك لإخبار الناس بأن الانفلاق قد تحقق – والله أعلم– .

لفظ (الصَّباح) : الصباح وإن كان يَدلّ على أول النهار، أو نوره ؛ إلا أن تعيين الوقت – فى هذا السياق – لم يكن مقصوداً بعينه ، أى أنه صباحٌ لا مساء ، وإنما المراد – والله أعلم – أن الصباح وهو ذلك الوقت المحبب إلى الخلق – جميعاً – حيث يستأنف كلٌّ كائن حى [١] حياته ويسعد بها حيث إنه ما زال من الأحياء، فيسعى فى ضروب الأرض ليحصل عيشه .ذلك الوقت المطلق غير المحدد بانفلاق أو غيره ساء ،فالصباح – هنا– لتأكيد الإساءة أكثر منه تعييناً لوقت . [٢]

بين صابر وصبَّار : [٣]

وهما بمعنى كما يُفهم من قول ابن سيده :" والصَّبْرُ : نقيضُ الجَزَعِ ، صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْراً ، فهو صَابِرٌ ، وصَبَّارٍ ، وصبيرٌ ، وصَبُورٌ ،

---

(١)إلا ما كان من الكائنات يسعى فى تحصيل رزقه – ليلاً – ، كبعض الهوام ، وبعض الطيور الجارحة ، وبعض القوارض ، المراد فالحكم تغليباً لا إطلاقاً .قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ سورة الملك ٦٧/ ١٥.

(٢) يُنظر الدر المنثور ٦/١٤٤و١٤٥ ١٢١/٨ و ١٢ / ٤٩٦وتفسير البغوى ٣ / ١٧٠ و ٦٥/٧ و التحرير والتنوير ٧ / ٣٩٠و١٢/ ١٣٣، و ٢٣ / ١٩٧.

(٣) ورد لفظ (صابر) فى قوله – تعالى – :﴿ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ سورة الكهف١٨ / من الآية٦٩،وفى سورة ص٣٨ / من الآية ٤٤. وورد لفظ (صبَّار) فى قوله – تعالى – : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ من سورة إبراهيم٢٢ /٥ ،وسورة لقمان٣١ / ٣١ وسورة سبأ ٣٤ / ١٩.

والأنثى صَبُورٌ – أيضاً – ٠٠٠"[١] ونقله عنه ابن منظور وزاد عليه فيما يخصّ الأنثى بقوله : " بغير هاء ،وجمعه صُبُرٌ "

وقد فرَّق بينهما بعضُ اللغويين ، كالأزهرى – فيما حكاه عن ابن عرفة – : " ٠٠٠يقال : صابر وصبَّار وصبور ؛ فأما الصَبُور : فالمقتدر على الصبر ، كما يقال : قَتُول وضَرُوب ، أى فيه قدرة على ذلك . والصبَّار : الذى يصبر وقتاً بعد وقتٍ "[٢]

ولم يتعرض للفظ الصابر ، ولعله ظنّ أنه معلومٌ – ومهما يك من أمرٍ – فالصابر هو من صبر على طاعة الله ، أو عن معصيته ؛ فهو الحابس نفسه عند أمر الله – تعالى – ونهيه .

ويفرَّق بينها – أيضاً – ابن منظور ؛ فى قوله : " فى أسماء الله – تعالى – : الصَّبُور – تعالى وتَقَدَّسَ– : هو الذى لا يُعاجلُ العُصاةَ بالانتقام ، وهو من أبنية المبالغة ، ومعناه قريب من معنى الحليم[٣] ، والفرق بينهما أن المذنب لا يأمَنُ العقوبةَ فى صفة الصَّبُور كما يأمنها فى صفة الحليم ٠٠٠وفى الحديث عن النبى – صلى الله عليه وسلم – : أن الله تعالى قال : إنى أنا الصَّبُورُ ؛ قال أبو إسحاق :

---

(١) يُنظر المحكم والمحيط الأعظم ٨/ ٣١٣ " صبر ".
(٢) يُنظر التهذيب ١٢/ ١٧٠ " صبر ".

(٣) يقول الإمام أبو حامد الغزالى : هو الذى يشاهد معصية العصاة ، ويرى مخالفة الأمر .. ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظٌ ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴾.سورة فاطر ٣٥ / ٤٥.ينظر المقصد الأسنى فى شرح الأسماء الحسنى ٧٧ بتصرف.

الصَّبُورُ فى صفة الله – عزَّ وجلَّ – الحليم . وفى الحديث :لا أحد أَصْبَرُ على أذى يَسْمَعُهُ مِنَ الله عزَّ وجلَّ ؛ أى أشدُّ حِلْماً على فاعل ذلك وترك المعاقبة عليه." (١)

وقد فرّق بينها جمهور اللغويين ؛ ومن أهم ما وقف عليه الباحث : وقيل: مراتب الصبر خمسة: صابر، ومصطبر، ومتصبر، وصَبُور، وصبَّار .فالصابر: أعمها، والمصطبر المكتسب للصبر المبتلى به. والمتصبر: متكلف الصبر حامل نفسه عليه. والصبور: العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره. والصبَّار: الشديد الصبر. فهذا في القدر والكم ، والذي قبله في الوصف والكيف. (٢)

وهذا – أيضاً – ما ذهب إليه المفسرون فقالوا : إن الصبَّار هو كثير الصبر . (٣) أعنى اللفظ الذى يعنينا فى الساق القرآنى لا جميع الألفاظ والشاهد أن اللفظ قد افترق معناه باختلاف مبناه ؛ حيث إن زيادة المبنى ، أو قل : قوة اللفظ لقوة المعنى ؛ فى(صَبَّارٍ) – بالتضعيف – ، وفى (صَبُورٍ) – بوزن المبالغة – قد لحقهما زيادة لا توجد فى لفظ (صابر) ؛ وهذا محور الدراسة الذى يسعى الباحث إلى إبرازه.

---

(١) يُنظر لسان العرب ٤/ ٢٣٩١و٢٣٩٢ " صبر ".
(٢) يُنظر تاج العروس ١٢/ ٢٧٣ " صبر ".
(٣) يُنظر تفسير القرطبى ١٢ / ١٠٧و روح المعانى للألوسى ١٣/١٨٨.

بين الصوم والصيام : [١]

وهما فى اللغة من : " ... صام الفرس على آرِيِّهِ صَوْماً وصياماً : لم يَعْتَلف." [٢]

والصيام كالصوم مصدر(صام) وهو لغة الإمساك ، ومنه يقال؛ للصمت: صوم ؛ لأنه إمساك عن الكلام ، قال ابن دريد : كل شىء تمكث حركته فقد صام. [٣]

والصيام والصوم : فى اصطلاح الشرع : اسم لترك جميع الأكل والشرب وقربان النساء مدة مقدرة بالشرع بِنِيّةِ الامتثال لأمر الله أو لقصد التقرب بنذر إلى الله.والصيام اسم منقول من مصدر فعال وعينه واواً قلبت ياءً لأجل كسرة فاء الكلمة ، وقياس المصدر الصوم، وقد ورد المصدران فى القرآن الكريم. غير إن الصيام قد جاء لوصف الجنس ، أما الصوم فى سياق سورة مريم – عليها السلام – فقد جاء لبيان نوع من هذا الجنس ؛ وهو الإمساك عن الكلام ، فيكون لفظ الصيام قد زاد على الصوم فى معناه بعد زيادته فى مبناه بنسبة الواحد إلى العشرة حيث إن الصومَ واحدٌ من هذه العشرة الموجودة فى الصيام – والله أعلم –.[٤]

---

(١) ورد لفظ (الصوم) فى قوله _ تعالى - :﴿ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ سورة مريم ١٩ / ٢٦، وورد لفظ (الصيام) فى قوله – تعالى - :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ من سورة البقرة ١٨٣/٢ .

(٢) يُنظر روح المعانى ٢ / ٥٦.

(٣) يُنظر الصحاح للجوهرى ٥ / ١٩٧٠ " صوم " ، و المحكم لابن سيده ٨/ ٣٩٠ " ص و م ".

(٤) يُراجع فى نحو ذلك : التحرير والتنوير ٢ / ١٥٤و ١٥٥.

ولا يقدح – فيما ذهب إليه الباحث – قراءة زيد ابن على – رضى الله عنه– (صياماً) فى سياق سورة مريم – عليها السلام – ؛ لأنها قراءة شاذة ؛ وعليها فيكون من إطلاق الكل وإرادة الجزء ، لأنه داخل تحته وواحد من أفراده. (١) ويؤيده – فيما يشبه الإجماع فى– تفسير الصوم بمعنى : الصمت فى هذا السياق ، وعليه كثيرٌ من المفسرين ، كابن عباس ، وأنس بن مالك ،والضحاك . (٢) ويؤيده – أيضاً– قراءة أُبىٍّ بن كعب ، وأنس بن مالك " إنى نذرت للرحمن صوماً صَمْتاً " وهذا هو الصحيح ؛ لحديث بنى إسرائيل ، خرَّجه البخارىُّ عن ابن عباس .وقال ابن زيد والسُّدىُّ : كانت سنةُ الصيام عندهم الإمساكَ عن الأكلِ والكلام . قلتُ : ومن سنتنا نحنُ فى الصيام الإمساك عن الكلام القبيح ، لقوله عليه الصلاة والسلام : " من لم يدعْ قولَ الزور والعملَ به ؛ فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه ".(٣) أما الصيام فى القرآن فيطلق عندما يُراد الجنس المعهود للمسلمين ،كما فى قوله– تعالى- : ﴿ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ﴾(٤)

بين ظالم وظَلُوم وظلاَّم : (٥)

---

(١) يُنظر روح المعانى للألوسى ١٦/ ٨٦.
(٢) يُنظر عمدة التفاسير لابن كثير ٢/ ٣٠٥ ، وتفسير الشعراوى ١٥/٧٨.
(٣) أخرجه البخارى (١٩٠٣) ، من حديث أبى هريرة ، وسلف ٣/ ١٢٣. ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٣/٤٣٩و٤٤٠بتصرف.
(٤) سورة المائدة ٥ / من الآية ٩٥.
(٥) ورد لفظ (ظالم) فى قوله _ تعالى _ : ﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ سورة النساء٤ / من الآية ٧٥، وسورة الفرقان / ٢٧ ، وسورة فاطر / ٣٢ ، وسورة الصافات / ١١٣ وورد لفظ (ظلوم) فى قوله – تعالى – : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ سورة إبراهيم / من الآية ٣٤، وفى سورة الأحزاب / من الآية ٧٢. وورد لفظ (ظلام) فى قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فى سورة آل عمران ٣/ ١٨٢ ، وفى سورة الأنفال٨ / ٥١ ، وسورة الحج ٢٢ / ١٠ ، وسورة فصلت ٤١ / ٤٦، وسورة ق ٥٠ / ٢٩.

وهذه الألفاظ من : " ظَلَم يَظْلِم ظَلْماً – بالفتح – ومَظْلِمَة ، فهو ظالم وظَلُوم ." (١)

وهذه الألفاظ افترقت معانيها – فى السياق القرآنى– تبعاً لاختلاف مبانيها ؛ فكلما زاد مبناها زاد معناها ، وكلما قوى معناها قوى مبناها ، فلفظ (الظالم) فى سياق سورة النساء وغيرها له معنى خاص يتميز به عما يؤده (ظلوم) فى سياقه ، وكذا (ظلاَّم) ؛ مع اشتراكها فى المعنى العام لمادة (ظ ل م) حيث يتوفر ذلك المعنى العام فى جميع السياقات ، لكن بنسب مختلفة، والسياق مع معرفة سبب النزول من أهم العناصر لتحديد المراد ، ففى سورة إبراهيم – عليه السلام – مثلاً؛ جاء اللفظ تزيلاً لحديثٍ طويلٍ عن النعم التى أنعمها ربنا – سبحانه وتعالى – على خلقه ؛ فاحتاج السياق إلى صيغتى المبالغة (ظَلُوم كفَّار) وهذا مناسب للنعم التى أخبرهم عنها الحق – تبارك وتعالى – بقوله : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ فلو جاز لباحث تحديد العلاقة بين اللفظين لقال : كلُّ ظَلُومٍ ظالمٌ ، وليس كلُّ ظالمٍ ظَلُوماً. فالظلوم يعلم أن هذا مظلوم ويصر على ظلمه ، أما الظالم فقد يظلم وهو يرى أنه من أعدل العادلين. كما يُلاحظ فى قصة أهل الإيمان وهم يدعون الله – تبارك وتعالى – لإخراجهم من القرية الظالم أهلها ، قد يقنع شخص ما بعلمه أن القرية ظالمٌ أهلها ، ويبحث أخر عن تحديد موطن الظلم فى هذا السياق الدقيق ، حيث إن وصف أهل القرية بالظلم ، لا يعنى بالضرورة أنهم وصفوا بالظلم ؛ لأنهم أوقعوا الظلم على أهل الإيمان فى تلك القرية ؛ بل

---

(١)يُنظر البصائر ٢ / ٥٤١.

ربما – وليس ببعيد – أن يكون أوقعوا الظلم على أنفسهم ؛ وذلك راجع لكفرهم ؛ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾[١] ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾[٢] والظلمُ بغيٌ ، وقد يبغى الإنسان على نفسه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾[٣]

ولو تفحصنا مفردات السياق لوجدنا أن الحق – تبارك وتعالى – قد ساق فيه لفظ (أهلها) وصفاً لأصحاب القرية الظالمة ، وهو وصف يخفف من حدة الظلم فى السياق ، فالظلم قد لا يكون موجهاً إلى مؤمنى القرية بداية ، وكذا قد يكون غير مُنْصرف إلى الإخراج ، فقد يكون فى الإكراه على العودة إلى دينهم القديم ، ومن بعدها يكون الإخراج كما فى قوله –تَعَالَىٰ:﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾[٤] ﴿ قَالُوٓا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾[٥] فيكون الظلم لأجل العودة إلى دينهم القديم ، وهو فى نظر الكافرين الحق الذى لا معدل عنه ، ويصبح الظلم ظلماً مُعَلقاً ، وعليه فيكون استعمال لفظ (ظالم) فى هذا السياق أوفق من استعمال (ظلوم) أو (ظلاَّم).

أما (ظلاَّم) فهو من صيغ المبالغة على وزن (فعَّال) للدلالة تكرار الظلم وافتعاله وهو– غالباً– ما يقع الظلم من ذوى الجاه والسلطان ، وأشخاص لا تُرد أحكامهم ، كالقضاة ،وغيرهم، وهو من أشد الظلم؛

---

(١) سورة البقرة ٢/ من الآية ٢٣١.
(٢) سورة الطلاق ٦٥/ من الآية ١.
(٣) سورة يونس١٠/ من الآية ٢٣.
(٤)سورة الأعراف ٧/ من الآية ٨٨.
(٥)سورة الشعراء ٢٦/ ١٦٧.

لأن الأصل فيهم عدم الظلم ، فهو ظلم قليل وقوعه ، لكن أثره عميق ، وعندما نعود للسياق القرآنى نجد أن اللفظ وقع تزيلاً لحكم الله فى افتراءين مثيرين ومستفزين ؛ أحدهما : قول اليهود فى حق الله – تعالى– أنه فقير وهم أغنياء ، وثانيهما :قتلهم الأنبياء بغير حق . ثم هم يُلقون فى الحريق عقاباً لذلك . ومن عدله – تبارك وتعالى – يأمر ملائكته – عن غير حاجة لذلك – بكتابة ما قالوا ليبقى دليلاً عليهم ، وعند تنفيذ العقوبة يأمرهم أن يوضحوا لهم حيثيات الحكم ؛بأن ذلك بما قدمت أيديهم فليس الله – تبارك وتعالى– بظلاَّم للعبيد ، فسبحانه وتعالى له العدل المطلق.

وفى الختام لو عقدنا مقارنة بين الألفاظ الثلاثة ، لوقفنا على ما يلى : لفظى (ظَلُوم) على وزن (فَعُول) و (ظلاَّم) على وزن (فَعَّال) من أبنية المبالغة معدولين عن لفظ (ظالم) على وزن (فاعل) وكل ما هو معدولاً عن معدول عن أصل فهو أبلغ من أصله.[١]

ثم إن لفظ (ظلاَّم) به ميزة أخرى لا تتوفر للفظ (ظَلوم) وهى أن من بين فونيماته فونيم الألف وهو فونيم مفخمٌ [٢]، فهذا الفونيم يتميز

---

(١) ينظر حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوى ١ / ٢٧و٢٨بتصرف.

(٢) ((وقفة مع تفخيم الألف)) وقبل الولوج فى الحديث عن تفخيم الألف لابد من تعريف التفخيم ؛ وهو فى اللغة : من فخم الشىء فخامة ، وهو فخم : عَبُل ؛ وفَخَّمه ، وتَفخَّمه : أجله وعظَّمه ...وفَخَّمَ الكلامَ : عَظَّمه ...والتَّفخيم : ضد الإمالة ، وألف التَّفخيم ، هى التى تجدها بين الألف والواو ، كقولك : سلامٌ عليكم ، وقام زيدٌ ، وعلى هذا كتبوا " الصلوة " و " الزكوة " و " الحيوة " كل ذلك بالواو ، لأن الألف مالت نحو الواو ، وهذا كما كتبوا " إحديهما " و " سويهن " بالياء لمكان إمالة الفتحة قبل الألف إلى الكسرة. يُنْظَر المحكم والمحيط لابن سيده ٥/ ٢٢٥و٢٢٦" ف خ م".وهذا التحديد الذى ذكره ابن سيده للألف المفخمة ؛ قد سبقه إليه فقهاء اللغة العربية كسيبويه وذكر أنها لغة الحجاز يُنظر الكتاب ٤/ ٤٤٢ و ابن جنى ، والكلام بنصّه فى سر صناعة الإعراب ١/ ٥٠.

وفسر المحدثون صوت الألف المفخم هذا بأنه صوت مدّ يحدثُ من ارتفاع مؤخر اللسان نحو الحنك ارتفاعاً يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المفخمة التى تلى أصوات الاستعلاء ويقل عن ارتفاعه مع الضمة ، ويكون وضع الشفتين مع ألف التفخيم وضع انضمام لا يبلغ الاستدارة التامة كما هو الشأن مع الضمة. يُنظر فى الأصوات اللغوية د/ فاضل المطلبى ١٦٨.
فالتفخيم فى الاصطلاح – على ما وصفه القدماء والمحدثون – تسمين الحرف وتغليظه ، والتفخيم والتسمين والتجسيم والتغليظ بمعنى واحد ينظر نهاية القول المفيد فى علم التجويد٩٣. والمسوغ الصوتى للتفخيم كثرة الذبذبات الصوتية وتركزها فى بؤرة واحدة هى مؤخر الفم . يُنظر ترتيل القرآن الكريم فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ٧٦ ومعلوم عند علماء القراءات وعلماء التجويد القرآنى والصوتيات أنه وجهٌ فى القراءة مقبول حيث قرأ ورش عن نافع – بتفخيم الألف – (الصَّلاة) و(ومُصَلَّى) و (الطَّلاق) و(بِظلاَّم) وشبهه . ذلك فاشٍ فى لغة أهل الحجاز ،ولغة أهل اليمن– على ما ذكر ابن منظور فى لسان العرب٢ / ١٠٧٥" حيا "، ومما يدلُّ على وجود مثل هذا فى لهجات اليمن – أيضاً – ما يذكره بعض المستشرقين من أن الأسماء العربية النتهية بـ (ون) ، مثل ابن خلدون ، وزيدون ،وكلها لأشخاص يمنى الأصل يرجح أنها أسماء منتهية بأداة التعريف اليمنية (آن) ، ثم أمالها اليمنيون على طريقتهم ، وكتبها العرب الشماليون بطبيعة الحال (ون) فى إمالتهم نحو الواو. يُنظر اللهجات العربية فى التراث ١/ ٢٨٤. وإنما دعاهم إلى ذلك إرادة نفى جواز الإمالة فيها ، وقال بعضُ النحويين : ولذلك كُتبتْ " الصلوة " بالواو على لغة الذين فَخَّموا الألف.يُنظر الرعاية للإمام مكى القيسى ١٠٨و١٠٩. والمقنع فى رسم مصاحف الأمصار للدانى٦٠– فيكون هذا المظهر اللغوى فصيحاً قراءةً ولغةً ،ينظر فى الأصوات اللغوية للمطلبى ١٦٨. ولا يقدح فى ذلك ما قاله بعضُ العلماء من أن تفخيم الألف قد اكتسبته العربية من لغات العجم أو النبط ؛ منهم الإمام ابن الجزرى فى حديثه عن حروف التفخيم ؛ قال: " ... والطاء أمكن فى التفخيم من أخواتها وزاد مكى الألف وهو وهمٌ ." يُنظر التمهيد فى علم التجويد ٩٣و٩٤. فجعل عد الإمام مكى القيسى للألف بأنها من حروف التفخيم من قبيل الوهم مع أن الإمام ابن الجزرى – نفسه – قد ذكرها فى الصفحة ذاتها ضمن الحروف "المُشْرَبة ويقال : المخالطة – بكسر اللام وفتحها – ، وهى الحروف التى اتسعت فيها العرب فزادتها على التسعة والعشرين المستعملة وهى ستة أحرف : النون المخفاة ، والألف الممالة ، والألف المفخَّة وهى التى يخالط لفظها تفخيم يقرّبها من لفظ الواو ، نحو (الصلاة) فى قراءة ورش ..." ينظر التمهيد ٩٤.فأين الوهم الذى أصاب القيسى؟ وقال فى كتابه النشر فى القراءات العشر ١/ ٢١٥ وما بعدها" أصل الخلل الوارد على ألسنة القراء فى هذه البلاد وما ألتحق بها هو إطلاق التفخيمات والتغليظات على طريق ألفتها الطباعات كذا !! تلقيت

عن فونيم (الواو) الموجود فى فَعُول بصفة التفخيم ، وهذه الصفة تكسب اللفظ قيمة تعبيرية زائدة. ، فالألف مصنفة ضمن مجموعة صوتية ذات طابع خاص؛ يقول عنها ابن جنى :" والحروف التى اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ، ثم الياء ، ثم الواو ، وأوسعها الألف .[١] والألف أمكن – عند خروجها – من الواو والياء فى هواء الفم إذ لا يعتمد اللسان عند النطق بها على موضع من الفم .

من العجم ، وأعتادها النبط ، واكتسبها ى بعض العرب حيث يقفوا على الصواب ممن يرجع إلى علمه ، ويوثق بفضله وفهمه ، وإذا انتهى الحال إلى هذا فلا بد من قانون صحيح يرجع إليه ، وميزان مستقيم يعول عليه ...وأما الألف فالصحيح أنها لا توصف بترقيق و لا تفخيم ، بل بحسب ما تقدمها ، فإنه تتبعه ترقيقاً وتفخيماً – لأن الألف – كما قال الجريسى – ليس فيه عضو أصلاً حتى يوصف بالتفخيم أو الترقيق – وما وقع فى بعض أئمتنا من إطلاق ترقيقها فإنما يريدون التحذير مما يفعله بعض العجم من المبالغة فى لفظها إلى أن يصيروها كالواو، أو يريدون التنبيه على ما هى مرققة فيه ، ولعل هذا كان قصد ابن الجزرى إذا يقول فى المقدمة الجزرية : ((وحاذر تفخيم لفظ الألف)) وليس يعنى بالتحذير من تفخيمها سوى التحذير من المبالغة فى لفظها مبالغة تصير واواً". ينظر نهاية القول المفيد فى علم التجويد ٩٤ ،و الإمالة فى القراءات واللهجات العربية د/ عبد الفتاح شلبى ٢٥و٢٦، وحق التلاوة ١١٩.

وما قيل فى الألف يقال فى الفتحة التى هى جزء منها فالفرق بينهما فى الزمن فقط ، فالفتحة – أيضاً – قد تكون مفخمة وقد تكون مرققة ، وقد تكون بين التفخيم والترقيق ، فهى مفخمة مع أصوات الإطباق ؛ وهى: الصاد والضاد والطاء والظاء ،وهى فى الحالة الوسطى بين التفخيم والترقيق ؛ مع القاف والغين والخاء ، ولكنها مرققة فى المواقع الأخرى.فلدينا إذا بحسب النطق الفعلى ثلاثة أمثلة للفتحة أو ستة حين تأخذ القصر فى الاعتبار ، إذ أن الفتحة الطويلة يعتريها ما يعترى الفتحة القصيرة من التفخيم وإخوته. يُنظر علم اللغة العام (الأصوات)د/ كمال بشر ١٤٨و١٤٩، وترتيل القرآن الكريم فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ٧٩.

(١) يُنظر سر صناعة الإعراب ٨/١.وعلم الصوتيات ١٥٧.

ألا ترى أن النطق بهذه الحروف إنما هو فتح الفم أو ضمه بصوت ممتد أو غير ممتد حتى ينقطع مخرجه فى الحلق،وأصل ذلك الألف[١] بين عالم ،وعليم ، وعلاّم. [٢]

وهذه الألفاظ فى اللغة من : (عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْماً) ، نقيض جَهِلَ ورجلٌ علاَّمة ،وعلاَّم ، وعليم ،...والله العالِمُ العليم العلاَّم. [٣]؛ لأنه العالم بما كان ،وما يكون كَوْنه ، وبما يكون ولمَّا يكن بعد قبل أن يكون.ولم يزل عالماً ، ولا يزال عالماً بما كان وما يكون ، ولا يخفى عليه خافية فى الأرض ولا السماء . [٤] وعليم من أبنية المبالغة على وزن " فعيل" ...وعلاَّم وعلاَّمة إذا بالغتَ فى وصفه بالعلم ، أى عالِمٌ

---

(١)فهو صوتٌ هوائى يخرج من هواء الحلق متصلاً بهواء الفم لا يعتمد على مخرج معين وهى أخفى الحروف ، لذلك سميت بالحرف الهاوى ، لأنه يهوى فى الفم حتى يتصل بالحلق . يُنظر الرعاية للقيسى ٩٤و٩٥و١٢٦و١٢٧بتصرف يسير.

(٢) ورد لفظ (عالم) فى قوله – تعالى – : ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ سورة الأنعام ٦/ من الآية ٧٣، وسورة التوبة٩ / ٩٤و ١٠٥. وسورة الرعد ١٣/ ٦ ، وسورة المؤمنون ٢٣/ ٩٥٢، وسورة السجدة ٣٢/ ٦،وسورة سبأ ٣٤/ ٣،وسورة فاطر٣٥ /٣٨،وسورة الزمر٣٩ / ٤٦، وسورة الحشر ٥٩/ ٢٢،وسورة الجمعة٦٢ / ٨ ، ، وسورة الجن ٧٢/ ٢٦.

وورد لفظ (عليم) فى قوله _ تعالى – : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة ٢ / من الآية٢٩،و٣٢ ، ٩٥ ، و١١٥ ، ١٢٧ ، ١٣٧ ، ١٥٨ ، ١٨١ ن ٢١٥ وغيرها الكثير.

وورد لفظ (علاّم) فى قوله – تعالى – : ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ سورة المائدة ٥ /١٠٩ ، و ١١٦، وسورة التوبة ٦٨/٩ وسورة سبأ ٣٤/ ٤٨.

وممكن أن يُصنف – أيضاً– تحت التحول عن معتاد الحال.

(٣)يُنظر العين للخليل ٣/ ٢٢١ " علم ".

(٤)يُنظر تهذيب اللغة ٢/ ٤١٧ " علم ".

جِداً ،والهاء للمبالغة[١]فزيادة المبنى فى (عليم)و (عــلاَّم) تبعــه زيادة فى المعنى حيث قوى المعنى فقوى اللفظ الذى يؤديه .

والكلام فى هذه الألفاظ الثلاثة فريب جداً من الألفاظ السابقة حيث إن لفظى (عليم) على وزن (فعيل) و (علاَّم) علــى وزن (فعَّــال) معدولين من لفظ (عالم) على وزن (فاعل) وكما قال شــيخ زادة حكاية عن الإمام الزمخشرى : كل ما هو معدولاً عن معــدول عــن أصل فهو أبلغ من أصله.[٢]

بين غَافر، وغَفُور ،وغَفَّار . [٣]

يقول الخليل : " والله الغَفُورُ الغَفَّارُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ مَغْفِــرةً وغُفْرانــاً وغَفْراً ". [٤] وعندما نتتبع القيم الدَّلالية فى هــذه الألفــاظ الجليلــة سنجد أنها: قد افترقت معانيها لاختلاف مبانيها ،

ويتعرض الإمام ابن الأثير لهذه القضية فى هذه الألفــاظ ؛ فقــال :" الغفُورُ الغفَّارُ – جَلَّ ثَناؤُهُ – ، وهما من أبنية المبالغة والمعنــى : السَّاتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذُنُوبهم." [٥]، وتبعــه

---

(١)يُنظر النهاية لابن الأثير ٥٤٢ "علــم "ولســان العــرب ٤/ ٣٠٨٣ " علــم ".والبصائر ٤/ ٨٨.

(٢) يُنظر حاشية شيخ زادة ١ / ٢٧و٢٨.

(٣) ورد لفظ (غافر) فى قوله – تعالى - : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ سورة غــافر ٤٠ / ٣، وورد لفظ (غفور) فى قولــه _ تعالى - : .﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ ســورة البقــرة ٢ /١٧٣ ، و١٨٢، و١٩٩،و٢١٨، و٢٢٥،و٢٢٦،و٢٣٥وغيرها الكثير، وورد لفظ (غفــار) فــى قوله – تعالى – :﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ سورة طه٢٠ /٨٢ ،وسورة ص٣٨ /٦٦وسورة الزمر ٣٩ /٥ ،وسورة نوح ٧١/١٠.

(٤) يُنظر العين ٣/ ٢٨٥ " غفر ".

(٥) يُنظر النهاية ٣/٣٧٣ " غفر ".

إلى ذلك ابن منظور [١] وإليه – أيضاً – ذهب الزبيدى – وزاد لفظ (الغافِر). [٢] وتتضح القضية عند الكفوى أكثر؛ فيفرَّق بينهما قائلاً : "والغفور كثير المغفرة وهى صيانة العبد عما استحقه من العقاب بالتجاوز عن ذنوبه ، والغفَّار أبلغ منه لزيادة بنائه. [٣]

فللَّه در هذا الرجل العلاَّمة الكبير فقد طرح القضية فى لمح البصر وفى كلمة واحدة ، فقال : " لزيادة بنائه" وبلا شك إن زاد بنائه زاد معناه ؛ لأن قوة المعنى قد طلب لفظاً يناسب هذه القوة فقوى اللفظ لقوة معناه،ارتباط شرطى.وغير ببعيد التحليل الدَّلالى للألفاظ السابقة حيث إن لفظى (غفور وغفار) على وزنى (فَعُول وفَعَّال) معدولينِ عن لفظ (غافر) على وزن (فاعل) كل ما هو معدولاً عن معدول عن أصل فهو أبلغ من أصله ، ولفظ (غَفَّار) أبلغ الجميع ؛ لأن زيادة مبناه كانت بالتضعيف وهو تقوية لوسط الكلمة وهو أفضل من طول الكلمة وهى ضعيفة ،ولأن القيمة التعبيرية للكلمة – غالباً – ما تكتسبها من حرف الوسط ، ثم إن لفظ(غفار) به تلك الميزة التى لا تتوفر للفظ (غفور) وهى أن من بين فونيماته ؛ فونيم الألف وهو فونيم مفخمٌ [٤]، فهذا الفونيم يتميز عن فونيم (الواو) الموجود فى فَعُول بصفة التفخيم ،وهذه الصفة تكسب اللفظ قيمة تعبيرية زائدة.

---

(١) يُنظر اللسان ٥/ ٣٢٧٣ " غفر ".
(٢) يُنظر تاج العروس ١٣/ ٢٤٧ " غفر ".
(٣) يُنظر الكليات ٦٦٦ .
(٤) و حكم الألف فى التفخيم – هنا– بين التفخيم والترقيق. يُنظر علم اللغة العام (الأصوات)د/ كمال بشر ١٤٨و١٤٩، وترتيل القرآن الكريم فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ٧٩.

بين فكهين وفاكهين.[١]

وهما قراءتان [٢]ولغتان على الأرجح [٣]، وعلى هذا القول تكون القضية الدَّلالية ، فيكون الإشباع للفتحة تولد عنها الألف ،والألف حركتان فى حين أن الفتحة حركة واحدة ، ويكون الأكثر بنية هو الأكثر فى المعنى – أيضاً– لأن قوة معناه هى من طلبت قوة مبناه .

بين قاعد وقعيد :[٤]

القعيد : المُقاعد مثل الجليس للمجالس ، والأكيل للمؤاكل ، والشَّرِيب للمشارب ، والخليط للمخالط ، والغالب فى فعيل أن يكون بمعنى إما بمعنى فاعل ، وإما بمعنى مفعول ، فلما كان فى المفاعلة معنى الفاعل والمفعول معاً ، جاز مجىء فعيل منه بأحد الاعتبارين تعويلاً على القرينة ، ولذلك قالوا لامرأة الرجل قعيدته . والقعيد مستعار

---

(١) ورد لفظ (فكهين) فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴾ سورة المطففين / من الآية ٣١..وورد لفظ (فاكهين) فى قوله – تعالى – ﴿ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾ سورة الدخان / من الآية ٢٧،وسورة الطور / ١٨

(٢) قرأ عاصم فى رواية حفص – بغير ألف – وسائر القرآن بألف،. ينظر الحجة لأبى على الفارسى ٦/ ٣٨٨. وأبو جعفر – من العشرة – واختلف عن ابن عامر من روايتيه. يُنظر الإتحاف ٥٩٧/٢.

(٣) ينظر الدر المصون للسمين الحلبى ٩ /٢٧٧ و١٠ / ٧٢٧. مفاتيح الغيب للرازى ٣١/ ١٠٣.

(٤) ورد لفظ (قاعد) فى قوله ـ تعالى ـ :﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا ﴾ سورة النساء ٤ / ٩٥، وسورة المائدة ٥ / ٢٤ و سورة يونس ١٠/ من الآية ١٢.وورد لفظ (قعيد) فى قوله تعالى :﴿ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴾ من سورة ق/ ١٧.

للملازم الذى لا ينفك عنه كما أطلقوا القعيد على الحافظ لأنه يلازم الشىء الموكل بحفظه. (١)

وإذا أردنا تفحصّ اللفظين باعتبار القوة ؛ لوجدنا أن (قَعيد) بوزن فَعيل ؛ وهو من أبنية المبالغة – مع إرادة التكثير فى القعود والملازمة – مُحوّل عن (قاعد) بوزن فاعل ، والمُحَول أزيد دلالة من المحول عنه.

بين قاهر وقهَّار : (٢)

وهما من أسماء الله – تعالى –. (٣) قَهَر خَلْقَه بقدرته وسلطانه ، فصرَّفهم على ما أراد طوعاً أو كَرهاً. (٤)

يقول ابن الأثير،:"فى أسماء الله –تعالى – " القاهر " هو الغالب جميع الخلائق . يُقال : قَهَره يقْهره قَهْراً فهو قاهرٌ ، وقَهَّارُ للمبالغة "(٥) وتبعه إلى ذلك ابن منظور (٦) فلفظ القهار قد وقع مناسباً للسياق أيما مناسبة حيث جاء فى حديث يوسف – عليه السلام – مع السجناء معه وهو يقررهم بأن الله – سبحانه وتعالى – هو المسير

---

(١) يُنظر التحرير والتنوير ٢٦/ ٣٠٢.

(٢) ورد لفظ (قاهر) فى قوله _ تعالى – :﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ . سورة الأنعام ٦ /١٨ ،٦١وسورة الأعراف ٨ / ١٢٧ وورد لفظ (قهَّار) فى قوله – تعالى – :﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ سورة يوسف ١٢ /٣٩ ،وسورة الرعد١٣/١٦وسورة إبراهيم – عليه السلام – ١٤ /٤٨،وسورة ص٣٨/٦٥ ، وسورة الزمر ٣٩/ ٤ ، وسورة غافر ٤٠/ ١٦.

(٣)يُنظر العين ٣/ ٤٣٨ " قهر ".

(٤)يُنظر تهذيب اللغة ٥/ ٣٩٥ " قهر ".

(٥)يُنظر النهاية٥ /١٩٢ " قهر ".

(٦)يُنظر اللسان ٥/ ٣٧٦٤ " قهر ".

لكل شيء طوعاً وكرهاً ؛ لأنه القهَّار ، لا تلك الآلهة المزعومة المتفرقة.

ولفظ (قَهَّار على وزن فَعَّال) وهو من أبنية المبالغة وهو معدول عن لفظ (قاهر على وزن فاعل) والمعدول أبلغ دلالة من المعدول عنه؛ وإلا فما علة العدل ؟

بين مَلِك ومَالك ومَلِيك . (١)

المَلِكُ هو اللهُ ، مَلكُ المُلوكِ ، لهُ المُلكُ ، وهو مالكُ يَوْمِ الدِّينِ ، وهو مَلِيكُ الخَلْق ؛ أى رَبُّهم ومالِكُهُم ،والملِكُ من مُلوكِ الأرض ، يقال له : مَلْكٌ – بالتخفيف –، والجمع : ملوكٌ ، وأملاكٌ . (٢) فالمَلْكُ ، والمَلِكُ ، والمليك ، والمالك : ذو المُلْكِ . (٣) ومَلْكٌ – لغة بكر بن وائل–(٤) ومَلِكٌ ، مِثالُ: فَخْذٍ وفَخِذ ، كأَنَّ المَلْكَ مُخَفَّف مِن مَلِكٍ ، والمَلِكُ مقصور من مالِكٍ ، أو مَلِيكٍ ، وجمع المَلْك : مُلُوك ، وجمع المَلَك : أَمْلاكٌ ، وجمع المَلِيك : مُلَكاءُ ، وجمع المالِكِ : مُلَّكٌ ، ومُلاَّكٌ .والأُمْلُوكُ : اسْمٌ للجمع ...وقال بعضهم : المَلِك ، والمليك : لله وغيره ، والمَلْك لغير الله. والمَلِكُ من مُلوكِ الأرض ، ويقال لهُ مَلْكٌ ، بالتخفيف، والجمع مُلُوكٌ وأمْلاكٌ . (٥)

---

(١) ورد لفظ (ملك) فى قوله _ تعالى – :﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ سورة الناس /٢،وورد لفظ (مالك) فى قوله – تعالى – :﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ سورة الفاتحة ١ /٤،وسورة الرعد١٣/١٦وسورة آل عمران ٣ / ٢٦،وسورة النجم /٢٦ وورد لفظ (مليك) فى قوله تعالى :﴿ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾ سورة القمر/٥٥.

(٢)يُنظر تهذيب اللغة ١٠/ ٢٦٩ "ملك ".

(٣)يُنظر المحكم والمحيط لابن سيده ٧/ ٥٥ "ملك ".

(٤)ينظر البحر المحيط لأبى حيان ١ / ١٣٣و البصائر للفيروزأبادى ٥/ ٥٢١.

(٥)يُنظر لسان العرب ٦/ ٤٢٦٦و٤٢٦٧ "ملك ".

وكلام ابن منظور فيه إشارة إلى قضية زيادة المعنى لزيادة المبنى فى قوله : " والملك مقصور من مالك أو مليك "؛ لأنه إذا كان مقصوراً فى لفظه فالقسمة تقتضى قصره فى معناه.

وعليه فيكون(مالك) أوسع وأجمع من (ملك)، وفيه زيادة حرف يتضمّن عشر حسنات ؛- ناهيك عن الزيادة الدَّلالية – لأن المالكيّة سبب لإطلاق التَّصرف دون المَلَكيّة –.

وهذه الزيادة هى التى تعنيننا – هنا – والتى صرَّح بها السمين الحلبى ، فى تعقيبه على قراءة (مالك يوم الدين) ؛ بقوله : " ...ولأن الزيادةَ فى البناءِ تدلُّ على الزيادةِ فى المعنى كما تقدم فى " الرحمن " ، ولأن ثواب تاليها أكثر من ثواب تالى "مَلِك " . وهذا كلام يدخل فى صُلب القضية التى هى موضوع هذه الدراسة. (١)

وأيضاً- المَلِك مَلِك الرَّعيَّة ، والمالك مالك العبد وهو أَدْونُ حالاً من الرَّعيّة ، فيكون القهر والاستيلاء فى المالكية أكثر ، ولأَنَّ الرعيَّة يمكنهم إخراج أنفسهم عن كونهم رعيّة ، والمملوك لا يمكنه إخراج نفسه عن كونه مملوكاً ، وأيضاً المملوك يجب عليه خدمة المالك ، بخلاف الرعية مع المَلِك . فلهذه الوجوه كان (مالك) أكمل من(مَلِك)، وبه قال الأخفش وأبو عبيدة. (٢) بالإضافة إلى أن (مالك) اسم فاعل من المِلك – بالكسر – واسم الفاعل ما اشتق مما حدث منه الفعل فى الحال و (مَلِك) من له السلطنة والتصرف فى الأمر والنهى فى جماعة العقلاء . فهو صفة مشبهة من المُلك – بالضم – بمعنى الإمارة والسلطنة .والصفة المشبهة ما اشتق مما ثبت فيه

---

(١)يُنظر الدر المصون ١/ ٤٩.

(٢)يُنظر البصائر٤/ ٥٢٢ و٥٢٣"ملك ".

الفعل واستمر ، ومن ثم خصت باللازم كالحسن والكرم والجود . فـ (مالك) أوسع لشموله غير العقلاء – أيضاً – و(ملك) أبلغ فى دلالته على القوة القاهرة. [١] ولا ضير فى ذلك فكلام العرب بعضه مأخوذٌ من بعض ؛ فقد يكون الأصل واحداً ثم يخالف بالأبنية ، فُيلزَم كل بناء ضرباً من ذلك الجنس ، مثال ذلك العَدْلُ ، يشتقّ منه : العِدلْ والعَديل ، فالعِدْل : ما كان متاعاً ، والعديل: الإنسان ، والأصل إنما هو العَدْل، وكذلك (مَلِك ، ومالِك) . [٢]

وهذه الأوصاف المتصلة بالله ، من المُلك ، والخلق ، والقهر ؛ ليست طارئة ولا عارضة ، ولا مؤقتة بزمن محدود تنقضى بانقضائه ؛ لأن هذا لا يناسب المولى – جلَّ شأنه – . ومن ثم كانت تلك الصيغ فى معناها ودلالتها : " صفات مشبهة " وليست " اسم فاعل " ، إلا فى الصورة اللفظية ، والأحكام النحوية الخاصة به برغم أنها على صيغة : " فاعل " ؛ فهذا الوزن وحده ليس كافياً فى الدَّلالة على الحدوث أو على الثبوت والدوام ؛ فلابد معه من القرينة التى تعيِّن أحدهما ، وتزيل عنه اللَّبس والاحتمال ؛ كى يمكن القطع بعد ذلك بأنه فى دلالته المعنوية – لا الشكلية – اسم فاعل ، أو صفة مشبهة. [٣]

ولهذه الكلمات من الترابط وضع خاص ؛ حيث يقول أبو حيان : " ومن ملح هذه المادة أن جميع تقاليبها الستة – ملك ،ومكل ،و كمكل ،ولكم ، وكمل ، وكملم – مستعملة فى اللسان ، وكلها راجع إلى

---

(١)ينظر الكليات ٨٥٣.
(٢)ينظر الحجة لأبى على الفارسى ١/ ١٤.
(٣)ينظر النحو الوافى ٣ /٢٤٤.

معنى القوة والشدة ، فبينها كلهـا قـدر مشـترك ، وهـذا يسـمى بالاشتقاق الأكبر ..." [١]

أما لفظ (مليك) فهو أبلغ من مَلِك – أيضاً – يقول الفيروزأبادى : " (مليك) محوَّل من (مالك) للمبالغة " فمعناه – أيضاً– التحـوَّل عـن معتاد حال اللفظ قد أثر فى معناه . [٢]

وكما نُقل عن الزمخشرى أنه قال : كل ما هو معدول عن أصل فهو أبلغ من أصله .كما أن مالكاً ، ومَلاَّكاً ، ومليكاً محوَّلين عن مالـك للمبالغة ؛ فقد استدل عليه بما اشتهر من أن زيادة البناء تكون لزيادة المعنى كما فى قطع وقطَّع فإن التشديد فى الثانى للتكثير. [٣]

يقول السمين الحلبى : و"مليك " مثال مبالغة وهو مناسب – هنا– . [٤]

وهذا ما ذهب إليه كثيرٌ من علمائنا يقول الألوسى : " وهو صـيغة مبالغة وليست الياء من الإشباع ".[٥]

الشيخ ابن عاشور : والمليك : فعيل بمعنى المالك مبالغة وهو أبلـغ من مَلِكٍ. [٦]

---

(١)ينظر البحر المحيط ١/ ١٣٥.
(٢)يُنظر التحرير والتنوير ٢٢٦/٢٧ .
(٣) ينظر حاشية شيخ زادة ١ / ٢٧و٢٨.
(٤) ينظر الدر المصون ١٠ / ١٥١.
(٥) ينظر روح المعانى ٢٧ / ٩٦.
(٦) ينظر حاشية شيخ زادة ١ / ٢٧و٢٨.

بين مَارِدٍ ومَرِيدٍ . [١]

مَرَدَ على الأمر يَمْرُدُ مُرُوداً ، ومَرَادَةً ، فهو مارِدٌ ومَرِيدٌ ، وتَمَرَّدَ : أَقْدَمَ وعتا . [٢]

: "يقول ابن الأثير : المارد : العاتى ...وفى حديث العِرْباض : وكان صاحب خَيْبَر رجلاً مارداً مُنْكَراً ؛ المارد من الرجال : العاتى الشديد ، وأصله من مردة الجن والشيا طين ؛ ومنه حديث رمضان : وتُصَفَّدُ فيه مَرَدَة الشاطين ن جمع مارِدٍ. [٣]

يقول ابن منظور. والمريد : من شاطين الإنس والجن ، وقد تمَّرد علينا ؛ أى عتا وطغى . والمريد : الخبيث المتمرد الشرير . و شيطانٌ مارِدٌ ومريدٌ واحدٌ". [٤]

فاللفظان فى اللغة بين الترادف والفروق ، والباحث مع الثانى – خاصة – فى السياق القرآنى ،وإلا لكفى أحدهما عن صاحبه ، وما كان من داعٍ لاستعمالهما فى سياقين مختلفين .ولو تفحصنا اللفظين لوجدنا أن لفظ (مريد) بوزن فعيل أبلغ دلالة من (مارد) بوزن فاعل ، حيث إنه مُحول عنه والمحول أزيد دلالة من المحول عنه .

بين الوعد والوعيد: [٥]

---

(١) ورد لفظ (مارد) فى قوله _ تعالى _ :﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ سورة الصافات /٧.وورد لفظ (مريد) فى قوله تعالى :﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ من سورة النساء ٤/ من الآية ١١٧.

(٢) يُنظر المحكم والمحيط لابن سيده ٩ / ٣٣١" م ر د ".

(٣) يُنظر النهاية ٣١٥/٥ "مرد ".

(٤) يُنظر لسان العرب ٦ / ٤١٧٢" م ر د ".

(٥) ورد لفظ (الوعد) فى قوله _ تعالى – :﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.سورة يونس ١٠/ ٤٨وورد لفظ (الوعيد) فى قوله – تعالى – :﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴾ سورة ق /٢٠.

قال الفراء : يُقال : وَعَدْتُه خيراً ووعَدْته شراً ، بإسقاط الألف ، فإذا أسقطوا الخير والشرَّ قالوا فى الخير وعَدْتُه وفى الشرِّ : أوْعَدته .وفى الخير الوَعْدُ والعِدَةُ ، وفى الشرِّ: الإيعادُ والوَعيدُ . (١)

ووعيد بوزن فعيل أزيد دلالة من وعد بوزن فَعْل .

بين فَعَل وفاعل ؛ (بعد وباعد) (٢)

نتحدث عن دلالة (فعل ، وفاعل) عند اللغويين لا عند الصرفيين وإن كان كلا الجانبين قد تحدثا على دلالة (فاعل) على المشاركة الحقيقة والمجازية للمفعول ، نحو خاصمَ ، وجاذب ، ودلالته على التكثير نحو ضاعف ، والموالاة نحو تابع . (٣)

يقول الطبرى : " باعد على وجه الدعاء والمسألة بالألف ، وقرأ بعض أهل مكة والبصرة : (بعِّد) ، بتشديد العين ، على الدعاء أيضاً .وذُكِر عن بعضُ المتقدِّمين أنه كان يقرؤه : (رَبُّنا باعَدَ بين أسفارنا) على وجهِ الخبر عن الله ، أن اللهَ فعَل ذلك بهم . وحكى عن آخرَ أنه قرَأه : (ربَّنا بَعُدَ) على وجه الخبرِ أيضاً غير أن الربَّ منادى .والمعنى يا ربَّنا ، باعدْ بين أسفارنا ، فاجعل بيننا وبين الشام فَلَوات ومفاوزَ ؛ لنَرْكَبَ فيها الرواحل ، ونتزَوَّدَ معنا فيها الأزادَ وهذا من الدَّلالة على بَطَرِ القوم نعمة اللهِ عليهم وإحسانه إليهم ، وجهلهم بمقدار العافية . (٤)

---

(١) ينظر المحكم والمحيط لابن سيده ٢ / ٢٢٨و٢٢٩ " وع د ". والبصائر للفيروزأبادى ٥/٢٣٧و٢٣٨" وعد".

(٢) ورد لفظ (بعد) فى قوله _ تعالى _ : ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ سورة التوبة ١٠ / من الآية ٤٢ .وورد أيضاً فى سورة هود ١٢ / من الآية ٩٥.وورد لفظ (باعد) فى قوله – تعالى – : ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ سورة سبأ ٣٤ / من الآية ١٩.

(٣) يُنظر دراسات فى فقه اللغة د/ صبحى الصالح ٣٣٧.

(٤) يُنظر جامع البيان للطبرى ١٩/ ٢٦٥.

((التضعيف))

توطئة :

وهو عبارة عن التقاء حرفين من جنس واحد فى موضعين ، عين الفعل ولامه ، فى فعل كان ذلك أو اسم ،فكل لفظ التقى فى موضع عينه ولامه حرفان من جنس واحد وكان الثانى منهما متحركاً حركة إعراب أو حركة بناء غير التقاء الساكنين ، فلا خلاف بين العرب فى إدغام الأول فى الثانى. (١)

وتميل القبائل البدوية والبلاد الريفية إلى الشدة حين الكلام ،وذلك لما فى طبعها من قسوة وجفاء وغلظة ؛فى تحصيل الرزق ؛ مما انعكس ذلك على لغتهم ؛ لأنها هى الوسيلة الاجتماعية الأولى للتواصل ؛فتَلمس فى نطقهم القوة مع السرعة ، فهم دوماً يبحثون عن تلك الأصوات التى تؤدى ما يصف حالهم الطبعى دون تنميق ، مع الفراغ الشاسع ،وضعف إمكانية التواصل عبر وسائل الاتصال الحديث ، لضعف الإمكانيات – غالباً – فهم بحاجة إلى الأصوات القوية التى تطرق آذانهم وآذان من يتحدثون إليهم من جهر ، وتفخيم ، وشدة ، بينما نرى – أحياناً – أهل المدن المتحضرة منها – فقط – يميلون إلى التؤدة والليونة ؛ لأن ذلك ينسجم مع بيئتهم وطبيعتهم . ولا شك فى أن التفخيم والتغليظ والتشديد ، أو التضعيف والتثقيل ؛ وكلها معان تدل على سِمَنٍ يدخل على جسم الفونيم المستخدم الذى يصبح فى صورته النهائية نموذجاً صالحاً ليؤدى غرض الناطق من لغته المستخدمة ؛ وهذه العناصر من القوة اتخذها

---

(١) يُنظر التبصرة والتذكرة للصَّيْمرى ٢/ ٧٣٧.

البدوى ، والريفيى ديدنه ، فقبائل مثل تميم وأسد وقيس وهى من القبائل الضاربة فى البداوة آثرت صيغ التشديد ، بينما آثرت الحجاز وقريش، وكنانة التخفيف ، وهم من الحضر ، فالسمة الغالبة هى حرص القبائل البدوية على التثقيل – خاصة البيئة العراقية – لمجاورتها القبائل الشرقية من الجزيرة العربية كأسد وتميم وقيس. ،– ومهما يك من أمرٍ – ؛ فالتشديد ؛ الذّى هو من صفات البدو دخل الفصحى ، وفرضته على الفصحى تلك القبائل ،وألبسه القرآن الكريم لباس الشرعية والقبول ؛ ولهذا نجد صفحة القرآن الكريم والتى تنطبع فى قراءتها لهجات العرب جاءت على الوجهين ، وكلاهما فاشيان وفصيحان. (١)

وأحسن ما يكون الإدغام فى الحرفين اللذين هما سواءٌ استثقالاً لتوالى المتحركات ، يقول الإمام سيبويه : ويَدلُّك على حُسْنِ الإدغام عدم توالى خمسة أحرف متحركة فى تأليف الشعر ، والبيان – الفك – فى كل هذا عربىٌّ جيّد حجازىّ. (٢)

والتضعيف يقتضى – غالباً – التكرار والتمهل وقد جعل مجمع اللغة العربية بالقاهرة تعدية الفعل الثلاثى اللازم قياسية بالتضعيف لإفادة التكثير والمبالغة . (٣)

---

(١) يُنظر اللهجات العربية فى التراث ٢/ ٦٥٧– ٦٦٧ بتصرف كبير .
(٢) يُنظر الكتاب ٤/ ٤٣٥.
(٣) يُنظر فى أصول اللغة ٢٢٤.

بَرَز وبُرِّزت : [١]

يُلاحظ أن التضعيف قد جاء لعلة ما ؛ فمن غير المعقول أن يكون اللفظان يدلان على الظهور دلالة واحدة . فما علة التضعيف ؟ وبقليل من النظر نجد أن دلالة التضعيف تظهر مدى الإذلال حيث تبقى الجحيم ظاهرة لهم ،فهى كانت مخبأة عنهم ومدخرة لهم ، فلما جاءوها ، أُظهرت لهم ، مع أن سياق آية آل عمران فيه – أيضاً – من الشدة والقهر ما فيه ، ولكنه قهرٌ يُراد منه التسليم لأمر الله – تبارك وتعالى _ والحَثُ على الجهاد فى سبيل الله دون خوف ، أو تعلق بالحياة التى لا محالة زائلة بالقتل والشهادة ، أو بالموت على الأسرة والأرائك .فالخطاب فى الأول للمؤمنين والخطاب فى السياق الثانى للمشركين فجاء التضعيف لمناسبة المخاطبين . [١]

ومما قد يُساق فى سبيل الدَّلالة على ما ذهب إليه الباحث ؛ما يلى :

أولاً : أن الأعمش قرأ (فبُرِّزتْ) بالفاء جعل تبرز الجحيم بعد تقريب الجنة يعقبه ، وذلك لأن الواو للجمع ، فيمكن أن يكونَ كلٌّ واحدٍ منهما ظهوره قبل الأخر وهو من تقديم الرحمة على العذاب ، ويقول أبو حيان عن ذلك : وهو حسنٌ لولا أن رسم المصحف بالواو . [٢] أى أن السياق يحتاج إلى ذلك التضعيف لمناسبة المعنى المقصود حيث يرى المشركون إزدلاف الجنة للمتقين ، ثم بعد هذه

---

(١) ورد لفظ (برز) فى قوله _ تعالى _ : ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ فى سورة آل عمران ٣/ من الآية ١٥٤ ، كما ورد بلفظ الجمع فى الآية ٢٥٠/ من سورة البقرة ، والنساء من الآية ٨١ ، وسورة إبراهيم _عليه السلام _ من الآية ٢١و٤٨.؛ وورد لفظ (بُرِّزَتْ) عند قوله – تعالى – : ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ سورة الشعراء ٢٦ / من الآية ٩١.وقرأ مالك بن دينار " وبَرَزَتْ " بفتح الباء والراء خفيفةً ، مبنياً للفاعل ، مسنداً للجحيم فلذلك رُفِعَ . يُنظر الدر المصون للسمين الحلبى ٨/ ٥٣٤.

الحسرة والحرمان ، يأتى العذاب والشقاء الدائم فتُبَرّز لهم الجحيم .
ثانيا: سياق الآية التالية يقوّى ما ذهب إليه الباحث حيث إن السياق سياق توبيخى فقيل لهم بعد ذلك على وجه التوبيخ :﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ أى : يمنعونكم من العذاب ، أو يمتنعون منه . (٣)

بين بَلَغَ وبَلَّغ : (٤)

يقول القرطبى : " (ومن بلغ) أى : ومن بلغه القرآن . فحذف الهاء لطول الكلام ... " (٥) وفى اللغة : " وشىءٌ بالغٌ ، أى جيدُ . وقد بلغ فى الجودة مَبلغاً " (٦) ويقول ابن عطية فى سياق آية سورة المائدة: " أمر رسولَه بالتبليغ على الاستيفاء والكمال ، لأنه كان قد بلَّغ ".(٧) وذهب غيره بأن المعنى على الديمومة ،كقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٨) وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾(٩) ."(١٠) وعلة تضعيف بلَّغ

---

(١) يُنظر نحو ذلك فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤ / ٨١.
(٢) يُنظر البحر المحيط ٧/ ٢٥.
(٣) يُنظر زاد المسير لابن الجوزى ٦/ ١٣١.
(٤) ورد لفظ (بَلَغ) فى قوله ـ تعالى ـ :﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ فى سورة الأنعام ٦/ من الآية ١٩ وورد لفظ (بَلَّغ) فى قوله – تعالى – ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ سورة المائدة ٥ / من الآية ٦٧.
(٥) يُنظر الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٣٣٧ .
(٦) يُنظر الصحاح للجوهرى ٤ / ١٣١٦ "ب ل غ " .
(٧) يُنظر المحرر الوجيز ٨/ ٢١٧و٢١٨.
(٨) سورة الأحزاب ٣٣ / من الآية الأولى .
(٩) سورة النساء ٤ / من الآية ١٣٦.
(١٠) يُنظر الدر المصون ٤/ ٣٤٩.

؛ لأن الله _ سبحانه وتعالى _ قد أعْلَمه _ ﷺ _ أنه إن قصَّر عن إبلاغ شىءٍ مما أنْزِل إليه إليهم ، فهو فى تركِه تبليغَ ذلك ، وإن قلَّ ما لم يُبَلِّغْ منه ، فهو فى عظيم ما ركِب بذلك مِن الذَّنبِ ، بمنزلته لو لم يُبَلِّغ من تنزيله شيئاً . (١)

بين حمل وحمَّل : (٢)

مما لا شك فيه أن التضعيف فى اللفظ الثانى يدل – أيضاً – على تضعيف المعنى فاللفظ قد تميز عن صاحبه بفونيم صوتى زائد ؛ صحيح أنه إعادة لفونيم صوتى سابق عليه ، ولكن قوته تكمن فى تحركه ، فالفوبيم الصوتى المماثل له والسابق عليه فونيماً ساكناً وهذا من لوازم الإدغام ، وفى ذلك يقول الزمخشرى : " وفى قراءة أُبىّ بن كعب (ولا تحمَّل علينا) – بالتشديد – ، فإن قلتَ : أى فرق بين هذه التشديدة والتى فى (ولا تحمِّلنا)؟ قلتُ : هذه للمبالغة فى حمل عليه ، لذا لم يتعدّ إلا لمفعول واحد، وتلك لنقل حمله من مفعول واحد إلى مفعولين. (٣)

ما أروع هذا الرجل – جار الله الزمخشرى – حيث مزج فى كلامه بين الفكر الدلالى والفكر التركيبى – وهو على حق فى ذلك – فهما لا ينفكان عن بعضهما وهما وجهان لعملة واحدة فتعرض لمسألة نحوية بروح اللغوى المفسر فالتضعيف ليس دائماً للمبالغة – وإن كانت تلك ميزة أصيلة فيه – وإنما زيادة المبنى – هنا – جاءت

---

(١) يُنظر جامع البيان للطبرى ٨ / ٥٦٧و٥٦٨.

(٢) ورد اللفظان فى قوله - تعالى - :﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ ﴾ سورة البقرة ٢/ من الآية ٢٨٦.

(٣) يُنظر الكشاف ١ / ٤٠٨

لغرض تركيبى وهو نقل حمل من العمل فى مفعول واحد للعمل فى مفعولين،فالتضعيف – هنا– للتعدية لذا تعدَّى إلى مفعولين ، أولهما : الضمير " نا " ، وثانيهما : جملة " ما لا طاقة لنا به " .

ويعلّق شيخ زادة فى حاشيته على كلام البيضاوى ومن قبله الزمخشرى قائلاً :" قوله للمبالغة إشارة إلى الفرق بين فعل هذا وبين الذى فى قوله (ربنا ولا تحمِّلنا) بأن بناء فعل فى الأول للمبالغة والتكثير ، كما فى : موّتت البهائم ، وغلقت الأبواب ، وفى الثانى للتعدية ، كما فى : فرّحته ، فإن قولك : حمل عليه – بالتخفيف – يفيد معنى ، وإذا قلت : حمَّل عليه – بالتشديد – : قصدت به المبالغة فى ذلك المعنى ، وأما حمله ذلك ، فهو للتعدية من حمله مخففاً وليس فيه إلا نقل باب إلى باب ولا يفيد المبالغة. (١)

بين المُدْخَلِ والمُدَّخل . (٢)

وقد قُرِىء بهما فى سورة التوبة (٣) وقد علَّق النحاس على القراءات الواردة فى هذا السياق ؛ فقال إن معانيها متقاربة (٤)– ولكن ليست مترادفة – والفرق كبير؛ لأن المدَّخل بالتضعيف به زيادة

---

(١) يُنْظر حاشته على تفسير البيضاوى ١/ ٥٩٨.

(٢) ورد لفظ (مُدْخل) فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾:فى سورة النساء ٤/ من الآية ٣١،وفى سورة الإسراء / من الآية ٨٠ ، وفى سورة الحج / من الآية ٥٩، وورد لفظ (مُدَّخل) فى قوله – تعالى – :﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ سورة التوبة / من الآية ٥٧.

(٣) فيعقوب – بفتح الميم ، وإسكان الدال مخففة – ، وافقه الحسن وابن محيصن بخلفه ، و والباقون – بالضم والتشديد –. ينظر الإتحاف ٢/ ٩٣.

(٤) يُنظر معانى القرآن ٣ / ٢١٥.

فى المبنى ، الأمر الذى يستتبعه زيادة فى المعنى – أيضاً- ولذا فالجمهور على القراءة به ، لأن السياق يحتاج إلى ذلك التضعيف ، فهو مُفْتَعَل ، للإدخال الذى هو افتعال من الدخول، قلبت تاء الافتعال دالاً لوقوعها بعد الدال ،- حيث إن أصله مدتخل والتاء بعد الدال تبدل دالاً ، لأن التاء مهموسة ، والدال مجهورة ، وهما من مخرج واحد فأبدلت التاء دالاً ثم أُدغمت الدال الأولى الساكنة فى الدال الثانية المتحركة – كما أبدلتْ فى ادَّان. (١) ويذكر الإمام الزجاج المسوغ الصوتى لتلك العملية الصوتية قائلاً : " لأن التاء والدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه واحدٍ أخفّ ".(٢)

ويؤيد ذلك أيضاً ما قاله أبو حيان عن المُدَّخل بأنه بناء تأكيد ومبالغة (٣)، وتابعه إلى ذلك السمين الحلبى فى تعليقه على قراءة التضعيف ، فقال : " والمُدَّخل : مُفْتَعَل من الدخول وهو بناء مبالغة فى هذا المعنى " ثم يذكر السمين الحلبى قراءة أخرى تؤيد فكرة مناسبة التضعيف – هنا – للسياق – مع وقوف الباحث أمام قراءة التخفيف إكباراً وإجلالاً ولكن القول فى توجيه قراءة التضعيف ، فكلٌّ عن رسولِ الله مُلتمساً – فقال : وقرأ قتادة ،وعيسى ابن عمر ، والأعمش : مُدَّخَّلاً – بتشديد الدال والخاء – معاً . وتوجيهها أن الأصل " مُتَدَخَّلاً من تدخَّل بالتضعيف ، فلما أدغمت التاء فى الدال صار اللفظ مُدَّخَّلاً نحو مُدَّيَّن مِنْ تَدَيَّن ، ثم يُعرَّج الرجلانُ على المعنى – وفى كلامهما دعما لما ذهب إليه الباحث – قالا : وهذا من

---

(١) يُنظر الجامع للقرطبى ١٠/ ٢٤٢و مفاتيح الغيب للرازى ١٦ / ٩٩ وروح المعانى للألوسى ١٠ / ١١٩.
(٢) يُنظر معانى القرآن ٢ /٤٥٥.
(٣) يُنظر البحر المحيط ٥ / ٥٦.

أبرع العلم : ذكر أولاً الأمر الأعم وهو الملجأ من أى نوع كان ، ثم ذكر الغَيْران التى يُختفى فيها فى أعلى الأماكن وفى الجبال ، ثم الأماكن التى يُختفى فيها فى الأماكن السافلة وهى السُّروب – قال المحقق لعلها الأسراب ، ومفردها سَرَب ؛ حفير تحت الأرض لا منفذ له – وهى التى عبَّر عنها بالمُدَّخل . [١] و تبعهما إلى ذلك شيخ زادة فى تعليقه على تفسير الإمام البيضاوى وزاد قوله : " والمتدخل اسم مفعول من تدخل وبناء التفعيل يجيء متعدياً إذا كان للاتخاذ ، نحو : توسده ؛ أى اتخذه وسادة. [٢]

(١) يُنظر الدر المصون ٦/ ٦٨و٦٩.
(٢) يُنظر حاشيته على تفسير البيضاوى ٢/ ٤٣٦ .

((المطاوعة و افتراق المعانى))

توطئة .

واستعمال صيغة (افتعل) لمطاوعة (فَعَلَ) نحو نبهته فانتبه ، وللاتخاذ نحو اختتم ؛ اتخذ خاتماً ، وللتصرف بجهد ، نحو : اكتسب ، وللاختيار نحو : انتقى .[١]

بين بَارك وتبارك . [٢]

قال الزجاج :

تَبَارَكَ : تَفاعَل من البَرَكة ،كذلك يقول أهلُ اللُّغة . [٣]وقال ابن الأنبارى : تبارك الله ، أى يَتَبَرَّكُ باسمه فى كلِّ أَمر ،وقال الجوهرىُّ : تبارك الله ، أى : بارَكَ مثل قاتَلَ وتقاتَلَ ، إلاَّ أَنَّ فاعلَ يَتَعَدَّى ، وتفاعل لا يتعدَّى . [٤]

---

(١) يُنظر دراسات فى فقه اللغة د / صبحى الصالح ٣٣٧.

(٢) ورد لفظ (بارك) فى قوله _ تعالى _ :﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ ﴾ سورة الأعراف ٧/ ١٣٧ ، وفى سورة الإسراء ٧١و سورة الأنبياء ٨١ ، سورة سبأ ١٨، سورة النمل٨.

.وورد لفظ (تبارك) فى القرآنى تسع مرات ، أولها : فى قوله – تعالى – :﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ سورة الأعراف٣٧ / من الآية ٥٤ ، وفى سورة المؤمنون ١٤ ، وسورة الفرقان الآية الأولى و٦١ ، فى سورة غافر ٦ ، وسورة الزخرف ٨٥، وسورة الرحمن ٧٨، وسورة المُلك الآية الأولى ومن العجيب أن السورتين الأخيرتين قد ورد فيهما اللفظ من دون ألف ، وهذه حكمة الرسم القرآنى .

(٣) يُنظر معانى القرآن ٤ / ٥٧.

(٤) يُنظر الصحاح ٤ / ١٥٧٥ " برك " و ولسان العرب ١/ ٢٦٦ " برك " و تاج العروس ٢٧/٥٩ " ب ر ك " .

بين التباب والتتبيب : [١]

يقول ابن سيده : " وتَبّا لَه ؛ على الدُّعاءِ. وتَبّا تَبيباً ؛ على المبالغة ...والتَّبَبُ ، والتَّبابُ ، والتَّتْبِيبُ : الهلاك ." [٢]

ويقول الزبيدى : " (التَّبُ) : الخَسَارُ (والتَّبَبُ) مُحَرَّكَةً (والتَّبَابُ) كسَحَاب(والتَّبيبُ) كأمِير : الهَلاكُ والخُسْرَانُ ،(والتَّتْبِيبُ) تَفْعِيلٌ (:انَّقْصُ والخَسَارُ) المُؤدِّ للْهَلاك ، كذا قَيَّدهُ ابنُ الأثير " [٣]

بين الصرف والتصريف . [٤]

الصَّرْفُ : فَضْلُ الدِّرْهَم فى القيمة،وجَوْدة الفِضَّةِ ، ومنه الصَّيْرَفىُّ لتصريفهِ أحدهما بالآخر، والتصريف: اشتقاق بعض من بعض ، وصَيْرِفيّات الأمور : مُتصَرفاتها ؛ أى تتقلبُ بالناس ، وتصريف الرياح : تَصَرُّفها من وَجهٍ إلى وجه ، ومن حال إلى حال ، وتصريف الخُيُول والسُّيُول والأُمور .وصَرْف الدَّهر : حَدَثُه ، وصَرْف الكلمة : إجراؤها بالتنوين ...والصَّرْفُ : أن تَصِرفَ

---

(١) ورد لفظ (تباب) فى قوله _ تعالى _ :﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ سورة غافر ٤٠/ ٣٧.وورد لفظ (تتبيب): فى قوله – تعالى – : ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ سورة هود ١١/ من الآية ١٠١ .

(٢) يُنظر المحكم والمحيط ٩ / ٤٦٧ " ت ب ب " .ولسان العرب ١/ ٤١٥" تبب ".

(٣) يُنظر تاج العروس ٢ / ٥٥و٥٦ " ت ب ب "

(٤) ورد لفظ (صرفاً) فى قوله _ تعالى _ :﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ سورة الفرقان / ١٩.وورد لفظ (تصريف): فى قوله – تعالى – : ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ سورة البقرة ٢ / من الآية ١٦٤ .

إنساناً على وَجْهٍ يُريده إلى مَصْرفٍ غيـر ذلـك .[١] ورُوى عـن يونس أنه قال : الصَّرْف الحيلة ومنه قيـل : فـلانٌ يتصـرَّفُ ، أى يحتال.[٢]

فالإنسان له تصريف فى حدود قوته التى وهبه الله إياهـا ، ولكـن عندما يكون الموقف أشد منه كيوم القيامة – ساعتها – لا يستطيع صرفاً ولا نصراً ؛ أى حيلة أمام ذلك الموقف ، أما الرياح والسيول وما شابه فلها قوة فى ذاتها ، لكنها مُصرَّفة من قِبلِ مُصَرِّفِها وهـو الله – تبارك وتعالى – فالصرف والتصريف كوجود الشىء و حركة هذا الشىء فى الحياة ، لأن التصريف هـو تفعيـل الصـرف ، أى تحريكه والاستفادة منه كما يفعلُ الصيرفىُّ بالدراهم والدنانير.

وعندما نبعد – قليلاً – عن السياق القرآنى إلى السياق الاصطلاحى سنجد – أيضاً – هناك فرقاً بين اللفظين ، وأن الزيـادة فـى مبنـى التصريف قد أثر فى زيادة المعنى .فاللفظان يُطلقان على ما يُعـرف بعلم البنيَّة .والصرف morphology يُطلق علـى علـم بأصـول تُعرف بها أحوال الكلم التى ليست بإعراب ولا بنـاء ، مـن حيـث السوابق واللواحق والدواخل والجذور ، صحة وإعلالاً ، فهو فـرع من علم القواعد العام ،ويهتم بالدرس الوصفى للكلمة ، فـى زمـن محدد ، و يدرس تاريخ وتطور أشكال الكلمات ، وهـو مـا يُعـرف (بالمورفيمية التاريخية)، أو (المورفولوجى تاريخى) والتصريف يندرج تحت هذا العلم الشامل ولا يحل محله ، فالتصريف هو تفعيل من الصرف ، بمعنى أن تصرف الكلمة الواحدة ، فتتولد منها ألفاظاً

---

(١) يُنظر العين للخليل ٢/ ٣٩١و٣٩٢ " صرف " .
(٢) يُنظر التهذيب ١٢/ ١٦١ صرف " .

ومعان متفاوتة ، مثل أن تقول : من الضرب ضرب ، ويضـــرب ، وضارب. (١)

فعلم الصرف هو الأصول والقواعد ، من خلاله يُعرف أحوال الكلمة : صيغها الأصلية والعارضة ، وما يلابسها من تغيُّـرٍ معنـــوى فـــى مدلولها ، ومن تغيَّر صوتى فى بنيتها ، مصدره الظواهر التصريفية ، كالتجريد ، والقلب، والزيادة ، والحذف ، والإبـــدال ، والإعـــلال ، والإدغام ، والقلب المكانى ، والإمالة ،والتحريك والتسكين ، للابتداء والوقف ، والتخفيف ، والتثقيل ، أما التصريف فهو تحويـــل الكلمـــة ،من بنية إلى أخرى ، بالزيادة ، والحـــذف ، وتغيـــر الحركـــات ، والإبدال ، والإعلال ،وله غايتان : أوهما : معنوية خالصة ، تولـــد صيغاً تغنى اللغة . فالمصدر " قَطْعٌ" يتولد منه عدد كبير من الأبنية ، نحو : قَطَعَ ، يَقْطَعُ ، اقطَعْ ، قاطَعَ ، يُقاطعُ ، قاطع ، أقَع ، يُقْطِـــعُ ، أقطِع ، قَطَّعَ ، تَقطَّع ، انقطّع ، اقتطع ، تقاطع ، استقطع ، قاطعٌ ، مُقْطعٌ ، مُقطَّعٌ ، مَقطُوعٌ ، مُقطَعٌ ، مُقطَّعٌ ، قَطَّاعٌ ، قَطيعٌ ، قَطُـــوعٌ ، مَقطَع ، مقِطَعٌ ، قاطعةٌ ، قاطعان ، قاطعون ، قُويطِعٌ ، قطعىّ ؛ فأنت ترى ما فى هذه المفردات ، من غنى للغة الغربية وتلمس –أيضاً – ما فى هذا التصريف ، من إيجاز فى التعبير ، واختصار فى الأداء ، يوضحان ما عرفته لغة القرآن ، من بلاغـــة وبيـــان ، فقولـــك : " استقطع "يغنى عن : طلب أن يُقطعَ ، وقولك " المَقْطَعُ " يغنى عـــن المكان الذى يُقطع فيه ، وقولك " المِقطَعُ " يغنى عن الآلة التى يُقطعُ بها إلى غير ذلك .

---

(١) يُنظر المصطلحات اللغوية فى التـــراث اللغـــوى فـــى ضـــوء علـــم اللغـــة الحديث١٨٥-١٩١بتصرف كبير.

والغاية الثانية ، من التصريف ، لفظية خالصة ، تُخففُ ثقل الأصوات التى تكون الكلمة ، ففى التصريف تتغيّر بعض الحركات والأحـــرف ، وتتبدَّل بعض الظواهر الصوتية ، ليزول عن الكلمة شىء من الثقل ، دون أن يتأثر المدلول المعنوى ، فالفعل " عوَدَ " يثقــل لفظــه ، لتحرك الواو بعد فتح ، فتقلب الواو ألفاً ، للتخلص من الثقل . إلـــى غير ذلك من التصريف .[١]

بين العلى والمتعالى والأعلى : [٢]

الله – تبارك وتعالى – هو العلّى العالى المتعالى ذو العُلَى والمعـــالى تعالى عمَّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.والأعلى بمعنى العالى ، وتفسير تعالى : جلّ عن كل ثناء [٣]

يقول الأزهرى : " وتفسير هذه الصفات لله – تعالى – يقرب بعضـــها من بعض ، فالعلىُّ : الشريف ؛ فعيل من علا يعلو ، وهـــو بمعنـــى العالى ، وهو الذى ليس فوقه شىء ، ويقال : هو الذى علا الخلـــق فقهرهم بقدرته ، أما المتعالى فهو الذى جَلَّ عن إفك المفترين وتنزه عن وساوس المتحيّرين ، وقد يكون المتعالى بمعنى العالى، والأعلى هو الله الذى هو أعلى من كل عالٍ ، واسمه الأعلى ، أى صفته أعلى

---

(١) يُنظر ارتشاف الضرب لأبى حيـــان ١/ ٢٢و تصـــريف الأســـماء والأفعـــال ١٥و١٦.

(٢) ورد لفظ " العلى " فى- قولـــه تعـــالى - : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴾ سورة النساء ٤ / من الآية ٣٤. وورد لفظ " المتعالى " فى قوله – تعالى - : ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ سورة الرعد١٣ /٩، وورد لفظ الأعلـــى فى قوله – تعالى - : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ سورة الأعلى / الآية الأولى .

(٣) يُنظر العين للخليل بن أحمد ٣/ ٢٢٥ " علو ".

الصفات . [١] وقد نقله عنه ابن منظور . [٢] وذكره الزبيدى من المستدرك على الفيروزأبادى . [٣]

ويقول الكفوى : العلى : هو العالى شأنه فى نفسه ، والأعلى عما عداه وهو الله – سبحانه وتعالى – فالأول بالنظر لذاته ، والثانى بالنظر لغيره. [٤]

لفظ (العلى) هو الذى لا رتبة فوق رتبته ، وجميع المراتب منحطة عنه ،وذلك لأن العلى مشتق من العلو ، والعلو مأخوذ من العلو المقابل للسفل ،وذلك إما فى درجات محسوسة، كالدرج والمراقى وجميع الأجسام الموضوع بعضها فوق بعض ، وإما فى الرتب المعقولة للموجودات المرتبة نوعاً من الترتيب العقلى ، كل ما له الفوقية فى المكان فله العلو المكانى ، وكل ما له الفوقية من الرتبة فله العلو فى الرتبة ، والدرجات العقلية مفهومة كالدرجات الحسية ، مثال الدرجات العقلية هو التفاوت الذى بين السبب والمسبب ، والعلة والمعلول ،والفاعل والمفعول ، والقابل والمقبول ، والكامل والناقص ، فالعلو عبارة عن الفوقية . [٥]

لفظ (المتعالى) بصيغة التفاعل للدَّلالة على أن العلوّ صفة ذاتية له – سبحانه – لا من غيره .ففيه زيادة فى المبنى لزيادة المعنى .

---

(١) يُنظر تهذيب اللغة ٣/ ١٨٦ " علو ".
(٢) يُنظر لسان العرب ٤/ ٣٠٨٩ " علو ".
(٣) يُنظر تاج العروس ٣٩/ ٩٦ " علو ".
(٤) يُنظر الكليات ٦٢٧.
(٥) يُنظر المقصد الأسنى فى شرح الأسماء الحسنى ٨٠.

والكبير معناه : ذو الكبرياء ،والكبرياء عبارة عن كمال الذات ، وكمال الذات معناه كمال الوجود. [١] وتلازم صفة (الكبير)صفتى(العلىّ و المتعالى) ، وهى مجاز فى العظمة ، إذ قد شاع استعمال أسماء الكثرة وألفاظ الكبر فى العظمة تشبيهاً للمعقول بالمحسوس.[٢] ولفظ (الأعلى) اسم يفيد الزيادة فى العلو ، أى الارتفاع ، والارتفاع معدود فى عُرف الناس من الكمال فلا ينسب العلوّ من دون تقييد إلا إلى شىء غير مذموم فى العرف ، ولذلك لم يُذكر مع وصف الأعلى مفضل عليه أفاد التفضيل المطلق كما فى وصفه –تعالى – فى سياق سورة الأعلى ، ولهذا حكى عن فرعون أنه قال : ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [٣] والعلوّ المشتقُّ منه وصفه تعالى (الأعلى) لا علوّ مجازى ، وهو الكمال التام الدائم .ولم يعَدَّ وصفه – تعالى – (الأعلى) فى عداد الأسماء الحسنى استغناء عن اسمه (العلى) لأن أسماء الله – تعالى – توقيفية فلا يعد من صات الله – تعالى – بمنزلة ألاسم إلا ما كثر إطلاقه إطلاق الأسماء ، وهو أوغل من الصفات ، قال الغزالى : والعلوّ فى الرتبة العقلية مثل العلوّ فى التدريجات الحسية ، ومثال الدرجة العقلية ، كالتفاوت بين السبب والمسبب ، والعلة والمعلول والفاعل والقابل والكامل والناقص أهـ . وإيثار هذا الوصف فى هذه السورة ، لأنها تضمنت التنويه بالقرآن والتثبيت على تلقيه وما تضمنه من التذكير وذلك لعلو شأنه فهو من متعلقات وصف العلو الآلهى إذ هو كلامه .

---

(١) يُنظر المقصد الأسنى فى شرح الأسماء الحسنى ٨٢.
(٢) يُنظر التحرير والتنوير١٣/ ٩٨.
(٣) سورة النازعات٧٩ / ٢٤.

وهذا الوصف هو ملاك القانون فى تفسير صفات الله – تعالى – ومحاملها على ما يليق بوصف الأعلى فلذلك وجب تأويل المتشابهات من الصفات . (١)

بين قادر وقدير ومقتدر .(٢)

حيث ذكره ابن جنى فى باب قوة اللفظ لقوة المعنى وذكر أن لفظ (مقتدر) أوفق من (قادر) فى سياقه – طبعاً– لأن لفظ (قادر) أوفق فى سياقه الذى ورد فيه ويدلنا على ذلك قوله – هنا– وهذا ما يُعر ف بالسياق اللغوى ، وقال معللاً لذلك بقوله : من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ . (٣)

والقدير والقادر من صفات الله – جلَ وعزَّ– يكونان فى القُدرة ، ويكونان فى التقدير وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

---

(١) يُنظر التحرير والتنوير ٣٠/ ٢٧٥.

(٢)ورد لفظ (قادر) فى قوله – تعالى – : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ سورة الإسراء / ٩٩.ورد – أيضاً – قبل ذلك فى سورة الأنعام ٦/ من الآية٣٧. وإنما ذكر الباحث آية الإسار مع أنه عير متقدمة على الأنعام لأنها مناسبة لسياق لفظ (مقتدر) فى أن كلاهما يتحدث عن الأخذ والإهلاك.
ورد لفظ:(قدير) أول مرة فى القرآن الكريم فى قوله – تعالى –:
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ سورة البقرة ٢ / ذيل الآية ٢٠.وورد لفظ مقتدر فى قوله – تعالى – : ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ وقوله – تعالى – : ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ سورة القمر ٥٤ / ٤٢و٥٥.

(٣) يُنْظر الخصائص ٣/ ٢٥٦.

فى القدرة لا غير ، كقوله : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴾والله مقدِّر ما هو كائن وقاضيه. (١)

ويقول القرطبى" القادر المقتدر : معناهما : ذو القدرة ، لكن المقتدر أكثر مبالغة . (٢)

ويحدثنا العلاَّمة ابن الأثير حديثاً هو فى صُلب الموضوع ؛ فيقول : " فى أسماء الله – تعالى – القادر ، والمقْتدر ، والقَدير ؛ فالقادر اسم فاعل من قَدَر يَقْدِر ، والقدير : فعيل منه وهو للمبالغة والمقتدر : مُفْتعل من اقتْتدر وهو أبْلَغ ." (٣) وقد نقل عنه هذا الكلام ابن منظور وأيَّده. (٤)

فهذا الكلام الذى صرَّح به فقهاء العربية ، كابن الأثير ، وتبناه ابن منظور فى صُلب القضية ؛ فلفظ (قدير) بوزن فعيل ، وهذا الوزن من أبنية المبالغة وهو محول عن لفظ (قادر) بوزن فاعل ، والمحول أبلغ دلالة من المحول عنه ؛ كما صرح بذلك الزمخشرى – فيما حكاه عنه شيخ زادة –،فقال : كل ما هو معدولاً عن معدول عن أصل فهو أبلغ من أصله.(٥) أما لفظ (المقتدر) فهو أبلغ دلالة من (قادر وقدير) حيث سلك فى مبالغته طريق الافتعال .

ولم يغفل الفيروزأبادى إخراج القيم الدَّلالية فى الألفاظ الثلاثة ؛ فقال: " القدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضى الحكمة ، لا

---

(١) يُنظر تهذيب اللغة ٩/ ٢١و٢٢" قدر".
(٢) يُنظر شرح الأسنى فى الأسماء الحسنى١٠٤.
(٣) يُنْظر النهاية٤/ ٢٢" قدر " .
(٤) يُنظر لسان العرب ٥/ ٣٥٤٥" قدر".
(٥)يُنظر حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوى١/ ٢٧و٢٨.

زائداً عليه ولا ناقصاً ، ولـذلك لا يصـح أن يوصـف إلا الله – تعالى– ، والمقتدر يقاربه إلاَّ أنَّه قد يوصف بـه البشـر ، ويكـون معناه المتكلِّف والمكتسب للقدرة. ولا أحد يوصف بالقدرة من وجه إلاَّ ويصحّ أن يوصف بالعجز من وجه ، غير الله – تعـالى – ، فهـو الذى ينتفى عنه العجز من كلِّ وجـه تعـالى شـأنه. [١] ويبـدو أن الفيروزأبادى كان منصرفاً لإثبات القدرة لله – تعالى – لا لغيـره ، ولم يصرف نظره لتحديد نسبة الفرق بين القدرة بين لفظـى القـدير والمقتدر ، وإن كان ألمح لذلك عندما قال فى وصـف البشـر بلفـظ المقتدر : بأنه متكلِّف ، لأن مفتعل من القدرة .

بين أقسم وقاسم .[٢]

والقَسَمُ : اليمين . والجمع : أَقْسامٌ ، وقد أَقْسَم بالله ، واستقسمه به وقاسمهُ : حَلَفَ لَه ، وتقاسم القَوْم : تحالفوا . [٣]

ولا ريب أن لفظ (قاسم) أزيد فى المعنى لما فيه من زيادة فـى المبنى ،فيقول البيضاوى : وأخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة؛ [٤] حيث إن المقاسمة ؛مفاعلة من أقسم إذا حلف ، فحذفت منه

---

(١) يُنْظر البصائر٤/ ٢٤٦" قدر ".

(٢) ورد لفظ (أقسمَ) فى قوله _ تعالى _ :﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ سورة الواقعة ٥٦/ ٧٥، وفى سورة المائـدة ٥/ ٥٣،وسـورة الحاقـة٦٩ / ١٣٨ ، وسورة المعارج ٧٠/ ٤٠ ، وورد لفظ (قاسـم): فـى قولـه – تعـالى – :﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ سورة الأعراف ٧ / من الآية ٢١، وسـورة النمل٢٧ /٤٩.

(٣) يُنظر المحكم والمحيط لابن سيده ٦/ ٢٤٧" ق د ر "،ولسـان العـرب ٥ / ٣٦٣٠" قسم ".

(٤) يُنظر أنوار التنزيل وحاشية شيخ زادة ٢/ ٣٣٢.

الهمزة عند صوغ المفاعلة ، كما حذفت فى المكارمة ، والمفاعلةُ – هنا – للمبالغة فى الفعل ، وليست لحصول الجانبين، ونظيرها : عافاه الله . (١)

وقد سبقه إلى ذلك ؛ فقال : " وقد تجىء فاعلت لا تريد بها عمل اثنين ، ولكنهم بَنْوا عليه الفعل كما بنوه على أفعلتُ ، وذلك قولهم : ناولته ، وعاقَبته ، وعافاه الله ، وسافرت ، وظاهرت عليه ، وناعمته ، بنوه على فاعلت كما بنوه على أفعلت ، ونحو ذلك : ضاعفت وضَعَّفتُ ، مثل ناعمت ونعَّمت ، فجاءوا به على مثال عاقبته ." (٢)

ويفترض الزمخشرى أن آدم وحواء قالا له : تُقسم بالله إنك لمن النَّاصحين ، فأقْسم فجُعل طلبُهما القسم ، أى فتكون المفاعلة مجازاً ، قال ك أو أقسم لهما بالنَّصيحة وأقسما له بقبولها ، فتكون المفاعلة على بابها .أو أخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة ، لأنه اجتهد فيه اجتهاد المقاسم. (٣)

وتأكيد إخباره عن نفسه بالنّصح لهما بثلاث مؤكدات دليل على مبلغ شك آدم وحواء فى نصحه لهما ، وما رأى من مخائل التّردّد فى صدقه . وإنما شكّا فى نصحه لأنهما وَجدا ما يأمرهما

---

(١) يُنظر التحرير والتنوير٨ /٢٧٦.

(٢) يُنظر الكتاب لسيبويه ٤/ ٦٦.

(٣) يُنظر الكشاف ٢/٧٢و٧٣.والبحر المحيط لأبى حيان ٤/ ٢٨٠.ومفاتيح الغيب للرازى ١٤/ ٥٢.وروح المعانى للألوسى ٨/ ١٠٠،وتفسير الشعراوى ٧ / ٢١٤.

مخالفاً لما أمرهما الله الذى يعلمان إرادته بهما الخير علماً حاصلاً بالفطرة . (١)

بين كسب واكتسب . (٢)

فالاكتساب أقوى فى الدلالة من الكسب وقد رصد- لنا- عبقرى العربية – ابن جنى – توصيفاً دقيقاً لتلك القوة التى يتميز بها لفظ (الاكتساب) فى هذا السياق القرآنى ؛ فقال : " إن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمرٌ يسير ومستصغر ،وذلك لقوله – عزَّ اسمه – :﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٣) أفلا ترى أن الحسنة تصغر بإضافتها إلى جزائها، صغر الواحد إلى العشرة ، ولمَّا كان جزاء السيئة إنما هو بمثلها ، لم تحتقر إلى الجزاء عنها ، فعلم بذلك قوة فعل السيئة على فعل الحسنة ؛ ولذلك قال – تبارك وتعالى – :﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾ (٤) فإذا كان فعل السيئة ذاهباً بصاحبه إلى هذه الغاية البعيدة المترامية ، عُظِّم قدرها ، وفُخِّم لفظ العبارة عنها ، فقيل : لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، فزيد فى لفظ فِعل السيئة ، وانتقِص من فعل الحسنة ؛ لما ذُكر ، ومثله بيت الكتاب :

---

(١) يُنظر التحرير والتنوير٨ /٢٧٦.

(٢) ورد اللفظان فى قوله – تعالى – :﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ سورة البقرة ٢/ من الآية ٢٨٦.

(٣) سورة الأنعام ٦ / ١٦٠.

(٤) سورة مريم ١٩/ ٩٠و٩١

أنا اقتسمنا خُطَّتَيْنا بيننا فحملتُ بَرّةَ واحْتملتَ فجارِ[١]

فعبَّر عن البِرِ بالحمل ، وعن الفَجْرة بالاحتمال .وهذا ما قلناه فى قوله – عزَّ اسمه – : ولا فرق بينهما .وذاكرتُ بهذا الموضع بعض أشياخنا من المتكلمين فسُر به ،وحسن فى نفسه . [٢]

وهذا الذى ذهب إليه عبقرى العربية ابن جنى ذهب إليه كثيرٌ من علمائناً كالزمخشرى ؛ فى قوله : "فإن قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب ؟ قلتُ : فى الاكتساب اعتمال فلما كنا الشر مما تشتهيه النفس وهى منجذبة إليه وأمارة به كانت فى تحصيله أعمل وأجدّ فجعلت لذلك مكتسبة فيه ، ولما لم تكن كذلك فى باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال . [٣]

فالاكتساب افتعال والافتعال بناء مبالغة كما قال ابن عطية [٤] ويَدُلُّ على شدَّة الكلفة . [٥]

ويقول الألوسى : وإيراد الاكتساب فى جانب الشر لما فيه من زيادة المعنى وهو الاعتمال. [٦]

و لو بحثنا عن دلالة الاعتمال بين فونيمات لفظ (اكتسب) سنجد أنه يزيد عن (كسب) بفونيمى : الألف ، والتاء ؛وهما من حروف الافتعال ، والألف بما فيها من مد طبيعى – بمقدار

---

(١) والبت من بحر(الكامل) قاله النابغة الذبيانى يهجو زرعة الكلابى وكان لقى النابغة بسوق عكاظ وحبب إليه الغدر ببنى أسد فأبى عليه النابغة. ينظر ديوان النابغة ٥٥.

(٢) يُنْظر الخصائص ٣/ ٢٦٥و٢٦٦.

(٣) يُنْظر الكشاف ١/ ٤٠٨.

(٤) يُنْظر المحرر الوجيز ١/ ٣٩٤.وحكاه عنه القرطبى فى الجامع لأحكام القرآنى ٤/ ٥٠٠.

(٥) يُنْظر الدر المصون ٢ / ٧٠٠.

(٦) يُنْظر روح المعانى ٣ / ٧٠و ٧١.

حركتين – وبما فيها من تفخيم ، وكذا التاء فهى تدل على الطلب ؛ فكلاهما قد منحتا هذا اللفظ القوة اللفظية ، والقوة الدلالية بدلالته على الاعتمال.

((باب الاستفعال))

توطئة

حدثنا علماؤنا من فقهاء اللغة العربية عن قيم دلالية كثيرة متوفرة فى الاستفعال وفروعه من إفادته للطلب أو الصيرورة ،والمطاوعة ، فالسين والتاء للاتخاذ والجَعل ،وزادة مبانيها مقترن بزادة معانيها ، أو قل كلما قوّيت معانيها قوّيت مبانيها ، فى مقابلة أصولها التى خرجت منها ،وفى هذا الاتجاه يقول ابن جنى : إنهم – يشير إلى فقهاء اللغة ، كالخليل وسيبويه – جعلوا (استفعل) فى أكثر الأمر للطلب ، نحو: استسقى ، واستطعم ، واستوهب ، واستمنح ، واستقدم عمراً ، واستسصرخ جعفراً . فرتّبتْ فى هذا الباب الحروفُ على ترتيب الأفعال المحدّث عنها أنها وقعت عن غير طلب إنما تفجأ حروفُها الأصولُ ، أو ما ضارع بالصنعة الأصول . فالأصول نحو قولهم : طعِم ووهب ، ودخل ، وخرج ، وصعِد ونزل .فهذا إخبار بأصول فاجأت عن أفعال وقعت ، ولم يكن معها دلالة تدلُّ على طلب لها ولا إعمال فيها .وكذلك ما تقدّمت الزيادة فيه على سَمْتِ الأصل ؛ نحو أحسن ، وأكرم ، وأعطى وأولى . فهذا من طريق الصنعة بوزن الأصل فى نحو دحرج ؛ وسرهف ، وفَوْقَى وزَوْزَى . وذلك أنهم جعلوا هذا الكلام عبارات عن هذه المعانى ، فكلما ازدادت العبارة شبهاً بالمعنى كانت أدلّ عليه ، وأشهد بالغرض فيه. فلما كانت إذا فاجأت الأفعال فاجأت أصول المُثُل الدالة عليها أو ما جرى مجرى أصولها ؛ نحو وهب ، ومنح ، وأكرم ،

وأحسن ، كذلك إذا أخبرت بأنك سعيت فيها وتسببّت لها ، وجب أن تقدّم أمام حروفها الأصول فى مُثُلها الدالة عليها أحرفاً زائدة على تلك الأصول تكون كالمقدمة لها ، والمُؤدِّية إليها.- فابن جنى وإن كان يحدثنا فى إمساس الألفاظ أشباه المعانى ؛ إلا أن الكلام يدل على أن الاستفعال وفروعه قد زاد عن الأصول التى خرج عنها فى معناه ومبناه ؛ - ويقول وذلك نحو (استفعل) ؛ فجاءت السين والتاء زوائد ، ثم وردت بعدها الأصول : الفاء ، والعين ، واللام . فهذا من اللفظ وَفْق المعنى الموجود هناك . وذلك أن الطلب للفعل والتماسه والسعى فيه والتأنى لوقوعه تقدّمه ، ثم وقعت الإجابة إليه ، فتبع الفعلُ السؤالَ والتسبّب لوقوعه . فكما تبِعت أفعال الإجابة أفعالَ الطلب ، كذلك تبعت حروفُ الأصل الحروفَ الزائدة التى وضعت للالتماس والمسألة .وذلك نحو استخرج ، واستقدم ، واستوهب، واستمنح ، واستعطى ، واستدنى فهذا على سَمْت الصنعة التى تقدّمت فى رأى الخليل وسيبويه [١]؛ إلا أن هذه أغمض من تلك . غير أنها وإن كانت كذلك فإنها منقولة عنها ، ومعقودة عليها ، ومن وجد مقالاً قال به وإن لم يسبق إليه غيره .فكيف به إذا تبع العلماء فيه ،وتلاهم على تمثيل معانيه.[٢]

---

(١) يشير إلى قول الخليل : كأنهم توهموا فى صوت الجُنْدُب استطالة ومد ،فقالوا صَرَّ وتوهموا فى صوت البازى تقطيعاً فقالوا صرصر،وإلى قول سيبويه : فى المصادر التى جاءت على الفَعَلان : إنها تأتى للاضطراب والحركة ؛ نحو النَقزان ، والغليان ، والغثيان .فقابلوا بتوالى حركات المثال توالى حركات الأفعال. يُنظر الخصائص ٢ / ١٥٤.

(٢) يُنظر الخصائص ٢ / ١٥٤و١٥٥.

ونقل عنه هذا التوجه – أيضاً – السيوطى . (١)

بين المُبِين والمُسْتَبِين. (٢)

ويبدو أنهما فى اللغة بمعنى واحد – على ما فَهِمه الباحثُ من أقوال بعضهم _ يقول الأزهرى : " معنى مُبين ؛ أى مبيِّن ، أى : إنه مبيِّن خيره وبركته ، ومبيِّن الحق من الباطل ... قلتُ – والكلام للأزهرى – ويكون ((المُستبين)) أيضاً ، بمعنى ((المبين)) .يُقال _ والقول للخليل – (٣) : بان الشىءُ وبيّن ، وأبان ، واستبان ، بمعنى واحد ..." (٤) يقول الجوهرى : " وبانَ الشىء بياناً : اتَّضَح فهو بَيِّنٌ ... وكذلك أبانَ الشىءُ فهو مُبينٌ ... واستبان الشىءُ : وضُح . واستبنتُهُ أنا : عرفته . "(٥) ويقول ابن سيده :" بانَ الشىءُ واستبانَ وتبينَ ،وأبان ، وتَبَّنَ "(٦) أى كلها بمعنى واحد.

---

(١) يُنظر المزهر ١ / ٤٩.

(٢) ورد لفظ (المبين) فى قوله _ تعالى _ :﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ سورة يوسف ١٢/ الآية الأولى ، وفى قوله – تعالى – : ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ سورة النمل ٢٧ / الآية الأولى ، وفى سورة القصص ٢٨ / الآية الثانية .وورد لفظ (المستبين) فى قوله – تعالى – :﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴾ سورة الصافات ٣٧ / من الآية ١١٧

(٣) يُنظر العين ١ / ١٧٦ : بين " .

(٤) يُنظر تهذيب اللغة ١٥ / ٤٩٥ و٤٩٦ : بين " .

(٥) يُنظر الصحاح ٥ / ٢٠٨٣ " بين ".

(٦) يُنظر المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ١٠/ ٥٠٥ " ب ي ن ".وتاج العروس ٣٤ / ٢٩٧ " ب ي ن ".

ورغم ذلك فالباحث يُبْدِى تحفظه على هذا الكلام ؛ حيثُ يبدو لـــه فيه بعض التسامح ؛ لأننا فى القرآن الكريم نتعامل مع الســياق الذى وُجد فيه اللفظ ،ويُعينُ على ذلك معرفة سبب نزول الآيــة ، ولو أن اللفظين بمعنى واحد فما هى علة استعمال المبــين فــى بعض السياقات وعدم استعمال المستبين فيها والعكــس .وعلــى ذلك فلا مناص من استشارة بعض كتب التفسير حتــى يتســنى للباحث من استجلاء المقصود ، الذى لا يعلمه إلا علاَّم الغيوب – سبحانه وتعالى – وبعد بحثٍ وتنقيب ؛ لم يذهب تعــب الباحــث سُدى عندما وقف على كلام يلامس فكرة هذه الدراسة – وهــى افتراق المعانى تبعاً لاختلاف المبانى– منهم الإمام الألوســى ؛ حيث قال فى سياق آية سورة الصافات : " ((الكتاب المستبين)) أى البليغ فى البيان والتفصيل كما يُشعر به زيادة البنية ؛ وهو التوراة " [١] وبذلك – أيضا – قال شيخ زاده : " جعل اســتبان مبالغة أبان بمعنى أوضح بناء على أن الكتاب بكماله فى بيــان الأحكام وتمييز الحلال عن الحرام كأنه يطلب من نفسه أن يبينها ويحمل نفسه على ذلك ، يقال :الشىء بياناً ؛ أى ظهر ظهوراً ، وأبانه ؛ أى أوضحه . [٢] ويقول الشيخ الشعراوى : " المستبين : الذى بلغ النهاية فى البيان..." [٣] وبهذا يتضــح – لنــا – أن السين والتاء قد جاءت فى سياق لفظ المُستبين لغرض وهدف لا يُوجد فى سياقات لفظ المبين ، ولو علمنا أن المستبين قد جــاء

---

(١) يُنظر روح المعانى٢٣/١٣٨.
(٢) يُنظر حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوى ٤/ ٦٨.
(٣) يُنظر تفسيره ٢٠ / ١٢٨٠٧.

فى حال اليهود مع موسى وهارون ، وأن المبين قد جاء ملازماً للقرآن الكريم وبما أن السين والتاء للطلب ، فكأنهم ؛ أى : اليهود ؛ أهل الخطاب فى السياق – والله أعلم – فى استبيان دائم لكتابهم واستجلاء، فصار هذا الاستبيان ملازماً للكتاب ، فكأنه الكتاب المستبين – دائما – من جانبهم ومع استبيانه هم يجحدون ويكذِّبُون، .وإليك أيها القارىء العزيز لمحة من تلك الجبلة التى جبلوا عليها وهى جبلة الاستبيان لا للخضوع ولكن للجدال وإضاعة الحقوق وإخفاء الحق فانظر حالهم فى قصة البقرة التى كانت نتيجة لاستبيانهم عن القاتل لشخص من بينهم فأخبرهم موسى بذبح بقرة ، أى بقرة ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ انظر إلى الاستبيان وظنهم ظن السوء فى نبيهم عن اتخاذهم هزواً ، وهو نوع من المماطلة ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾وإجابة سيدنا موسى – عليه السلام – عليهم تدل على أنهم لا يصدقون بسهولة فاستعاذ بالله من ذلك وهو بمثابة قسم ، ثم انظر حالهم بعد ذلك : ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾وبعد هذا الاستبيان ، افعلوا ما تُؤمرون ، وأنى لهم ذلك فلا بد من السؤال عن بعد لونها أيضاً﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ثم بعد اللون لا بد من إزالة أى شُبه عن هذه البقرة ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ثم هم يطلبون مشيئة الله فى تنفيذ الأمر؛ وتناسوا أن الأمر فى مبدأه من الله ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ

يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (١)

وبعد ذلك الاستبيان الطويل ذبحوها ؛ ولكن : ((وما كادوا يفعلون)) فمثل هؤلاء القوم يُعبّر معهم بالكتاب المستبين ، أى المطلوب ظهوره وهو ظاهر و أظهر من الشمس فى كبد السماء ؛ ومن ثَم يكون هذا الاستبيان المتكرر منهم حجة أخرى عليهم. ولا يخفى بعد ذلك أن زيادة المبنى قد أثر فى المعنى بالزيادة أيضا.

بين يتجنبها وسيجنبها : (٢)

إن الباحث عندما وقف على هاتين الآيتين؛ لمس فيهما دقةً كبيرةً ، وسحراً بديعاً ،ولطفاً عجيباً ؛ لأن السين مع بناء الفعل للمجهول فى اللفظ الثانى أعطت اللفظ تنعيماً يناسب المُنعِم والمُنْعَم عليه ، حيث إن من يجنبه النار هو الله – سبحانه وتعالى – أما اللفظ الأول فيحاول الأشقى أن يتجنب الذكرى التى هى واقعة الآن من المؤمنين ،والتجنيب : التباعد ، وأصله التباعد تفعَّل لتكلف الكينونة بجانب الشىء ، والجانب : المكان الذى هو طَرَف لغيره ، وتكلفُ الكينونة به كناية عن طلب البعد أى بمكان بعيد منه ، أى يتباعد عن الذكرى الأشقى. (٣)الأشقى والأتقى : بمعنى الشقىّ والتقىّ

---

(١) الآيات من سورة البقرة ٢/ ٦٧ إلى ٧١.

(٢) ورد لفظ (يتجنَّبها) فى قوله _ تعالى _ :﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴾ سورة الأعلى ٨٧/ من الآية١١.وورد لفظ (سيجنبها) فى قوله – تعالى – :﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ سورة الليل ٩٢ / الآية ١٧.

(٣) يُنظر تفسير التحرير والتنوير ٣٠ / ١٢٥.

ولا تفضيل فيهما ؛ لأن النار ليست مختصة بالأكثر شقاءً ، وتجنُّبها ليس مختصاً بالأكثر تَقوى. وقيل هما على بابهما وإليه ذهب الزمخشرى . (١)

بين يحبونهم ويستحبونهم : (٢)

يقول ابن عاشور : فى تفسير آية سورة التوبة :" ومعنى " استحبَّوا الكفر " أحبّوه حبّاً متمكنا . فالسين والتاء للتأكيد ، مثل ما فى استقام واستبشر . (٣) واستحباب الشىء يدل على اختياره ،وإن كان استحباب الشىء أبلغ من اختياره فى الدلالة على أن كون ذلك الشىء محبوباً ؛ لأن اختيار الشىء إنما يدل على مجرّد ترجيح ذلك الشىء وعده خيراً بخلاف الاستحباب فإنه يدل على كون حب الشىء مطلوباً له ومحبوبا عنده وهو نهاية المحبة فقوله الذين يستحبون الحياة الدنيا يدل على كونهم فى نهاية المحبة للحياة الدنيا. (٤)

---

(١) يُنظر الكشاف ٤/٢٦٢ والدر المصون ١١/ ٣٠و٣١.

(٢) ورد لفظ (يحبونهم) فى قوله _ تعالى - : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ سورة البقرة ٢/ من الآية١٦٥.وورد لفظ (يستحبونهم) فى قوله – تعالى - :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة التوبة ٩/ ٢٣. و فى قوله – تعالى - :﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ سورة إبراهيم ١٤/ من الآية ٣.

(٣) يُنظر تفسير التحرير والتنوير ١٠ / ١٥١.

(٤) يُنظر حاشية شيخ زادة ٣/ ١٢٤.

بين أخرج واستخرج : (١)

يقول ابن عاشور : السين والتاء فى " أسْتَخْلِصْه " للمبالغة ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ (٢). مثلها فى استجاب واستأجر والمعنى أجْعَلْه خالصاً لنفسى ، أى خاصاً بى لا يشاركنى فيه أحد . وهذا كناية عن شدة اتصاله به والعمل معه . (٣)

---

(١) ورد لفظ (أخرج) فى عدة مواضع منها قوله _ تعالى _ :﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ سورة إبراهيم ١٤/ من الآية ٥ وقد ورد من مشتقات هذا اللفظ الكثير.وورد لفظ (استخرجها) فى قوله – تعالى – : ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ سورة يوسف ١٢/ من الآية ٧٦. وورد من مشتقاتها فى مواضع أخرى منها سورة النحل ١٦ / من الآية ١٤. ، وسورة الكهف ١٨ / من الآية ٨٢، وسورة فاطر ٣٥ / من الآية ١٢.

(٢) سورة يوسف ١٢ / من الآية ٥٤.

(٣) يُنظر تفسير التحرير والتنوير ١٣ / ٧.

وبين علا وتعالى واستعلى [١]

علا ، وتعالى ، واستعلى ؛ المادة تدور حول : يقول الخليل بن أحمد : أصل هذا البناء :العُلُوّ : فأما العَلاء ؛ فالرفعة ، وأما العُلُوّ فالعظمة والتجبُّر ، ويقال لكل شيءٍ يعلو : علا يَعْلُو ، فإن كان في الرِّفعة والشرف قيل عَلِى يَعْلَى . ومن قهر أمراً فقد اعتلاه واستعلى عليه وبه ، كقولك استولى ، والفرس إذا جرى الرِّهان فبلغ الغاية قيل استعلى على الغاية واستولى ، وقال : المَعلاة : كسب الشرف ، والجمع المعالى ، وفلان ن علية الناس ، أى أهل الشَّرف . [٢]

ويقول ابن فارس : العين واللام والحرف المعتل ؛ ياءً أو واواً أو ألفاً؛ أصلٌ واحدٌ يدلُّ يدور حول السمو والارتفاع ، لا يشذ عنه شيء . ومن ذلك العَلاء والعُلُوّ ، يقولون : تعالى النهار : أى ارتفع . [٣]

لفظ(تعالى) يقول الفيروزأبادى : وتخصيص لفظ التعالى للمبالغة لا على سبيل التكلَّف كما يكون من البشر. [٤] وأصله تعال- بفتح اللام – أمرٌ بالمجيء ،وأصله أن يقوله من فى المكان المرتفع لمن

---

(١) ورد لفظ (علا) فى قوله _ تعالى _ : ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ فى سورة الإسراء ١٧ / ٧،و سورة المؤمنون ٩٢/٢٣. وفى سورة القصص٤/٢٨.وورد لفظ (تعالى): فى قوله – تعالى – :﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سورة الأنعام٦ / من الآية ١٠٠ ، وفى سورة الأعراف ٧/ ١٩٠ ، وسورة يونس ١٠/ ١٨،وسورة النحل ١٦/ ٣ ، وسورة النمل ٢٧/ ٦٣ ، وسورة الجن ٧٢ / ٣وورد لفظ (استعلى): فى قوله – تعالى – :﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ طه ٢٠/ من الآية٦٤.

(٢) يُنظر العين ٣ / ٢٢٤و٢٢٥ " علو " .

(٣) يُنظر المقاييس ٦٩١ " علو " .

(٤) يُنظر البصائر٩٦" علو " .

فى المكان المستوطى ، ثم كثر حتى استوى استعماله فى الأمكنـــة ، عالية كانت أو سافلة، فيكون من الخاص الذى جُعل عاماً ، واستعمل فى موضع العام ، ومن هذا القبيل قولهم : " أقمتُ بين ظهـــرانيهم " أى بين ظهر فى وجهى وظهر فى ظهرى ؛ ثم استعمل فى مطلـــق الإقامة . ومنه (الحصان) للفرس الذكر ، خلاف الحجر وهى الأنثى منه . والأصل فيه أن الفحل الكريم الذى يضن بمائـــه لا ينـــزى إلا على فرس كريم ن كأنه حصن من الإنزاء ، ثم كثر استعماله حتـــى أطلق على الفحل الكريم وغيره وأشباه ذلك.ولم يجىء من (تعـــال) أمرٌ غائب و لا نهى .وهو مختص بالجلالة كـــــ (تبـــارك) معنـــاه تجاوز عن صفات المخلوقين ، وإنما خص لفظ التفاعل لمبالغة ذلـــك منه ، لا على سبيل التكلف كما يكون من البشر قال الحسن بن فضيل : تبارك الله فى ذاته وبارك فيمن شاء من خلقه. [١]

لفظ (استعلى) الاستعلاء يكون لطلب العلوّ المذموم ، ويكون لطلب الرفعة[٢] ، فالسين والتاء للطلب والزيادة فى المبنى يتبعها زيادة فى المعنى ، أو قوة اللفظ لقوة المعنى ، فكلا التعبيرين جائز.

---

(١) يُنظر الكليات للكفوى ٣١٦.
(٢) يُنظر البصائر ٩٧.

((الجمـــــع))

توطئة .

والجمع جعل الاسم القابل للجمع[١] دليل ما فوق الاثنين بتغيير ظاهر ، – بزيادة كصِنْو وصنوان ، أو بحذفٍ كتُخَمة وتُخَم ، أو بتبديل شكل كأَسَد وأُسْد ، أو بزيادة وتبديل شكل كرجل ورجال ، أو بنقص وتبديل شكل كقضيب وقُضُب ، أو بزيادة ونقص وتبديل شكل كغلام وغلمان ؛أو تغيير مقدر– كفُلْك فإنه يقع على الواحد وعلى الجمع فإذا كان واحداً فهو كقُفل وإذا كان جمعاً فهو كبُدْن فيقدر زوال الضمة الكائنة فى الواحد وتبدلها بضمة مشعرة بالجمع هذا مذهب سيبويه ، ودعاه إلى ذلك أنهم قالوا فى تثنيته فلكان ، فعلم بذلك أنهم لم يقصد بجُنُب ونحوه مما أشرك فيه بين الواحد وغيره حين قالوا : هذا جُنب ، وهذان جُنب ، وهؤلاء جنب . فالفارق بين ما يقدر تغييره وبين مالا يقدر تغييره مما لفظه فى الإفراد والجمع واحد وجدان التثنية وعدمها – وهو التكسير ، أو بزيادة فى الأخر مقدرٍ انفصالها لغير تعويض – ليخرج " سنين " ونحوه فإنه جمعُ تكسيرٍ جرى فى الإعراب مجرى التصحيح ، ومعنى التعويض فيه أن واحده منقوص يستحق أن يجبر بتكسير ، كما جبر " يَدٌ " و " دمٌ " حين قيل فيهما : يُدِىّ ودُمِىّ ودِماء ، فزيدت أخره زيادتا جمع التصحيح عوضاً من الجبر الفائت ، لأنهما يجعلانه شبيهاً بفعول لو كسر عليهن ولكون هذا النوع مكسّراً فى الحكم غير فاؤه

---

(١) لأن هناك من الأسماء ما لا يُجمع ، كما أن منها ما لا يثنى .

غالباً فقيل فى سنة : سِنون بكسر السين ، وقد رُوِى ضـــمها – وهو التصحيح . (١)

وقد استقصى اللغويون جموع التكسير قى الكلام العربى – جهد طاقتهم – فتبينوا ثلاثة أمور :

الأمر الأول : أن العرب يستعملون – فى الأغلب – صيغاً معينة إذا أرادوا من التكسير عدداً محدداً لا يقل عن ثلاثة ، ولا يزيـد على عشرة ،ويستعملون صيغاً أخرى إذا أرادوا عدداً لا يقل عن ثلاثة ، ولكنه يزيد على عشرة أو أكثر ؛ فالنوعان متشابهان فى المبدأ مختلفان فى النهاية– حيث إن جموع القلة هى من الثلاثة إلى العشرة مع إدخال العشرة ، وجموع الكثرة من الثلاثة إلى ما لا يتناهى ، فالفرق بينهما من جهة النهاية – وأشـهر الصـيغ الأولى أربعة ، تُسمّى جموع القلة (أَفْعلة ، وأَفْعُـل ، وفِعْلـة ، وأفعال) ، ومعنى اختصاص هذه الصيغ بالقلـة ؛ أن المـدلول الحقيقى لا المجازى لكل واحدة منها هو عـدد مُـبْهم – أى لا تحديد ولا تعيين لمدلوله – ولكنه لا يقل عن ثلاثة و يزيد علـى عشرة ، بشرط ألا توجد قرينة تدل على أن المراد الكثرة لا القلة. ، والآخرة جموع كثرة ،وهى تزيد على ثلاثين ، لكن المشـهور القياسى منها يقارب ثلاثاً وعشرين صيغة ، كـ : فُعْل ، وفواعل ، ومفاعل ، وفَعالِى ، وفُعُل ،هذا ولاختيار الصيغة الدالـة علـى التكسير أثر آخر فى تركيب الأسلوب أحياناً فوق أثره المعنـوى

---

(١) يُنظر شرح التسهيل لابن مالك ١ / ٦٩–٧١ بتصرف كبير ،والتبصرة والتذكرة للصيمرى ٢/ ٦٤٠ وما بعدها ، وارتشاف الضرب لأبى حيان١ / ٤٠١ وما بعدها، والأشباه والنظائر للسيوطى٢/ ١٦١و١٦٢.

السالف ؛ ذلك أن صيغة جمع القلة يناسبها نون النسوة ، وأن صيغة جمع الكثرة يناسبها تاء التأنيث ؛ فقولنا : رأيت أذْرعاً امتددن ...أفضل من امتدت ، وللوالد أيد غَمَرت أبناءه ...أحسن من غَمَرن ...وما تقدم هو الأفضل والأحسن ، ولكنه ليس واجباً.ومن أهم الفروق بين جمع التكسير وجمعى التصحيح : أن جمع التكسير لا بد أن تتغير فيه صيغة مفرده ؛ بخلاف جمعى التَّصحيح ؛ فإن مفردهما لا يتغير – فى الأغلب – عند جمعه على أحدهما ، بل يظل حافظاً صورته الأصلية .(١) وهما غير : ((جمع الجمع)) وهذا لا يطلق – اصطلاحاً – على أقل من عشرة ، كما أن الجمع لا يطلق – اصطلاحا – على أقل من ثلاثة مجازاً. (٢)

بين أَسْرَى وأُسَارى. (٣)

وردت هاتان اللفظتان فى سورتين و يَكادُ يكون السياق متقارباً ، وخير دليل على ذلك أنهما قد تبادلا المواقع فى سياق واحد ؛ وهو

---

(١) يُنظر النحو الوافى ٤ / ٦٢٥ – ٦٣٤ بتصرف كبير .

(٢) نفسه ٤/ ٦٧٥.

(٣) وردت هاتان اللفظتان فى الذكر الحكيم عند قوله – تعالى- :﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾ سورة البقرة ٢/ من الآية ٨٥. وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ سورة الأنفال ٨ / من الآية ٦٧ وقوله – تعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا ﴾ سورة الأنفال ٨ / من الآية ٧٠.وقد قُرىء بهما. يُنظر الحجة لابن خالويه ٨٤، والحجة لأبى على الفارسى ٢/ ١٤٣.

سياق سورة البقرة فهل هما بمعنى واحد ؟ وإن كان كـذلك ؛ فـأين القيم الدَّلالية للحروف الزائدة فى المبنى الثـانى ؟ _ خاصـة _؛وأن لفظ ((أُسَارى)) قد استعمل فى سياق أخر للدلالة علـى نحـو هـذا المعنى . ومعلوم أن زيادة المبنى يتبعه زيادة فى المعنـى ، أو مـا يُعرف : بقوة اللفظ لقوة المعنى .يقـول الإمـام الـرازى : " و((الأسرى)) جمع أسير ، كجريح وجرحى ،وفـى أسـارى : قـولان : أحدهما أنه جمع أسرى كسكرى وسكارى ، والثانى : جمع أسـير ، وفرّق أبو عمرو بين الأسرى و الأسارى ، بقوله : الأسارى الـذين فى وثاق ، والأسرى الذين فى اليد ، كأنه يذهب إلـى أن أسـارى أشدُّ مُبالغة من أسرى ،و أنكر ثعلبٌ ذلك ، وقال على بن عيسـى : الاختيار أسارى _ بالألف _ لأن عليه أكثر الأئمة ،ولأنه دلَّ علـى معنى الجمع إذ كان يُقال بكثرة فيه وهو قليل فى الواحـد نحـو شكاعى ،و لأنها لغة أهل الحجاز. [1] زد على ذلـك أنهـا قـراءة الجماعة كما يقول الإمام السمين الحلبى ، موجهاً لها بقولـه : ((فقراءة الجماعة تحتمل أربعة أوجه ، أحدُها : أنهـا جُمِـعَ جَمْـعَ ككَسْلان لما جَمَعَهما مِنْ عدم النشاط والتصرُّف ، فقـالوا : أَسـير وأُسارى _ بضم الهمزة _ ، ككَسْلان وكُسَالى ،وسكران وسُـكارى ، كما أنه قد شُبِّه كسلان وسكران به فجُمِعا جمعه الأصلى الذى هو على فَعْلى فقالوا : كسلان وكَسلى ، وسكران وسَـكرى ،كقـولهم : أَسير وأَسْرى .قال سيبويه : " فقالوا كسلان كَسلى ، شَبَّهوه بأسرى كما قالوا أُسارى شبَّهوه بكُسالى " ووجهُ الشبه ؛ أن الأَسْر يَـدْخل

---

(١) يُنظر مفاتيح الغيب ١٨٥/٢.

على المَرْءِ كَرْهاً ، كما يَدْخُل الكسل ، قال بعضهم : " والدليلُ على اعتبارِ هذا المعنى أنهم جمعوا مريضاً ومَيِّتاً وهالِكاً على فَعْلى فقالوا : مَرْضَى ومَوْتى وهَلْكى لَمَّا جَمَعَها المعنى الذى فى جَرْحَى وقَتْلى " . (١)

الثانى : أن أُسارى جمع أسير ، وقد وجدنا فَعِيلاً يُجمع على فُعَالى قالوا : شيخٌ قديم وشيوخٌ قُدامى ، وفيه نظرٌ ،وأن هذا شاذٌّ لا يُقاس عليه .

الثالث: أنه جمع أسير _ أيضاً _ وإنما ضَمُّوا الهمزة من أُسارى وكان أصلُها الفتح ، كنديم ونَدامى _ كما ضُمَّتِ الكافُ والسين من كُسالى وسُكارى _ وكان الأصلُ فيهما الفتح نحو : عَطْشان وعَطَاشى .

الرابع : أنه جمع أَسْرى الذى هو جمعُ أسير فيكون جمع الجمع أما قراءة " أسرى " _ فى هذا السياق _ بأنها قراءة واضحة ويحتج لها أبو على الفارسى قائلاً : أسيرٌ بمعنى مفعول .ألا ترى أنك تقول : أسرته ، كما تقول : قَتَلْتُهُ ، و فعيل إذا كان بمعنى مفعول ، لم يُجمع بالواو والنون كما لم يُجمع فَعُولٌ بهما ، ولكن يُكَسَّرُ على فَعْلى ،نحوُ لديغ ولدغى . وقتيل وقَتْلى ، وجريح وجرحى ، و عَقيرٍ وعَقْرَى . فإذا كان كذلك ، فالأقيس :الأسرى وهو أقيسُ من أُسَارى،كما كان أَقيس من قولهم : أُسَرَاءُ ، ألا ترى أنهم قد قالوا

---

(١) وعقَّب ثعلب على ذلك بقوله : ليس الأسر بعاهة فيجعل أسرى من باب جَرْحى فى المعنى ، ولكنه لما أصيب بالأسر صار كالجريح واللَّديغ ،فكُسِّرَ على فَعْلى كما كُسِّرَ الجريح ونحوه ، هذا معنى قوله. يُنظر المحكم والمحيط ٨ /٥٤٣ " أ س ر ".

: أُسَرَاءُ ، فشبَّهوه بظرفاء ، كما قالوا فى جمع قتيل : قُتلاءُ ، فكما أن أُسَرَاءَ وقُتَلاءَ فى جمع قتيلٍ ، وأسير ، ليس بالقياس ،.ثم ينقل أبو على الفارسى عن سيبويه قوله : أن أُسَارَى ليس بالأصل فى هذا الباب ، ولكنه قد استُعْمِلَ كثيراً فى هذا النحو ، وإن لم يكن مستمراً كاستمرار فَعْلى فى جمع فعيل الذى بمعنى مفعول)) [١]

وتابعه إلى ذلك السمين بقوله : ((أسارى ليس بالقياس " فَعْلى" ينقاس فى " فَعيل " بمعنى مُمَات أو مُوْجَع : جَريح وجَرْحى وقتيل وقَتْلى ومريض ومَرْضى وأما " أَسارَى " بالفتح فلغة ليست بالشاذة ،وقد تقدم أنها أصلُ أُسارى _ بالضم _ عند بعضهم ، ولم يَعْرف أهلُ اللغة فَرْقاً بين أُسارى وأَسْرى إلا ما حكاه أبو عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال : " ما كان فى الوَثاق فهم الأُسارى وما كان فى اليد فهم الأَسْرى" . ونقل عن بعضهم الفرقَ بمعنى آخر ،فقال : " ما جاء مُسْتأسِراً فهم الأَسْرى ، وما صار فى أيديهم فهم الأُسارى ، وحكى النقاش عن ثعلب أنَّه لما سَمع هذا الفرق قال : " هذا كلامُ المجانين " ، وهى جرأةٌ منه على أبى عمرو ، وحُكى عن المبرد أنه يُقال : " أَسير وأُسَراء كشهيد وشُهَداء " .)) [٢]

وقد نقل ابن الجوزى عن الفراء ،قوله : ((إن أهل الحجاز يجمعون الأسير : " أَسارى " وأهل نجد أكثر كلامهم " أسرى " وهو أجود الوجهين فى العربية _ وإن كانت القراء كما يعلم الجميع لا تأخذ

---

(١) يُنظر الحجة ٢/ ١٤٣و١٤٤.
(٢) يُنظر الدر المصون ١/ ٤٨٠و٤٨١و ٤٨٢،وحاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوى ٣٤٤/١.

بالأفشى فى الرسم ولا الأقيس فى العربية ، وإنما الأثبت فـــى الأثـــر والتواتر فالحديث _ هنا _ ليس عن صحة القراءة من عدمه إنمـــا نبحث عن قيم دلالية فى أحد اللفظين تبعاً لبنيته أو معنـــاه ، وعلـــى أيهما أقوى دلالة _ ثم يواصل الإمام ابن الجوزى نقله أقوال العلماء فى التفرقة بين اللفظتين ، فيقول : وروى الأصمعى عن أبى عمرو قوله: الأسارى : ما شدوا ، والأسرى : فى أيديهم ، إلا أنهـــم لـــم يشدوا . وقال الزجاج : ((فَعْلى " جمع لكل ما أصيب به الناس فـــى أبدانهم وعقولهم ...)) [١] وبعد سوّق هذا الخلاف بين علمائنا فى اللفظتين _ والذى لم يكن مقصوداً من الباحث فى ذاته _ إنمـــا أراد الدَّلالة على أن الخلاف قد بدا واضحاً بين اللفظتين وهما فى ســـياقٍ واحدٍ ، فكيف – بنا– وهما فى سياقين ؛ الأول آية ســـورة البقـــرة ،والثانى سياق آية سورة الأنفال حيث إن السياق الأول الصورة فيه أشد من الناحية التصويرية ؛ لأن الخطاب _ هنا _ لليهود ؛ وهـــو خطابٌ للمواجهين لا يَتحمِلُ ردُّه إلى الأسلاف ، نزلـــت فـــى بنـــى قَيْنُقاع وقُرَيظة والنَّضِير يُؤنِّبُهم ،ويُعَرِّفُهم قبيح أفعالهم ؛من نقـــد الميثاق وقتل أنفسهم ،حيث كانت بنو قَيْنُقَاع أعداء قُريظة ، و الأوس والخزرج إخوان ، وقريظة والنضير أيضاً إخـــوان ، ثـــم افترقـــوا فكانوا يقتتلون ، ثم ترتفع الحرب، فيفدون أُساراهم [٢] أو يفـــدونهم من يد غيرهم ويقتلونهم هم بأيدهم فالسياق _ هنا _ يحتـــاج إلـــى صورة شديدة لهؤلاء لتصوير بشاعة فعلهم ؛ فهؤلاء القوم يفعلون

---

(١) يُنظر زاد المسير ١١١/١بتصرف . يُنظر تاج العروس للزبيـــدى ٤٠/١٠ " أسر " .

(٢) يُنظر الجامع لأحكام القرآن ٢ / ٢٣٨.

الشىء ونقيضه من حيث حرصهم على افتداء إخوانهم ،ثم هم من يقتلونهم ، وهؤلاء الأُسارى قد أتو إليهم موّثقين الأيدى ،وليس ببعيد أن تكون الأرجل أيضاً فهى صورة شديدة حتى تستجيب قلوبهم لهم حتى إن صورتهم تلك تجعل من قُساة القلوب _ اليهود _ يُفادونهم ؛ فى الوقت الذى هم أنفسهم من نقضوا عهد ربهم وميثاقه ؛ بعدم سفك دمائهم – يريد – دماء إخوانهم ، لأنهم كأنفسهم ، ويخرجون ضعفاءهم من ديارهم ؛ فالسياق قد تزاحمت به المعانى الشديدة والصور البليغة ، التى احتاجت فى تصويرها إلى ألفاظ أكثر تغليظاً فاختير اللفظ الأكثر بنية ؛ فى حين أن سياق سورة الأنفال سياق تذكيرى مع عتاب رقيق لنبيّه المعصوم ؛ بأنه ما كان ينبغى لنبى مثله أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض [١] وسبب نزول الآية يُمثل سياق الحال فى القرآن الكريم كما هو متعارف عليه بين فقهاء اللغة ، وطلابها ، وسبب نزول هذه الآية كما أخرج أبو نعيم فى الحلية ، من طريق مجاهد ، عن ابن عمر ، أن النبىَّ _ صلى الله عليه وسلم _ لمَّا أسر الأسارى يومَ بدرٍ استشار أبا بكرٍ ، فأشار أبو بكرٍ فقال : قومُك وعشيرتُك ، فخلِّ سبيلهم . فاستشار عمرَ فقال : اقتُلْهم . ففادهم ؛ فنزلتْ الآية . [٢]

بين الجوارى والجاريات . [٣]

---

(١) يُنظر جامع البيان للإمام الطبرى ٢/٢١٠و٢١١بتصرف كبير و الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ١/ ٤٥٦و٤٥٧.

(٢) يُنظر جامع البيان للإمام الطبرى ١١/ ٢٨٥وما بعدها و الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٧ /٢٠١ وما بعدها بتصرف .

(٣) ورد لفظ (الجوارى) فى قوله _ تعالى _ : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ سورة الشورى ٤٢/ من الآية٣٢، وورد اللفظ – أيضاً - فى سورة الرحمن –

وردت هاتان اللفظتان للدَّلالة على تلك الآلات العملاقة الكبيرة التى تجوب البحار ؛ وهى : السُفن ؛ فما هى علة هذا التنوع فى التعبير ؟ وأى اللفظين يتميز عن صاحبه بقيم دلالية زائدة ؟

وعلى الرغم من أن اللفظ الأكثر بنية قد جاء موافقاً لما يُعرف فى علم التجويد بموافقة رووس الآيات ؛ إلا أنه به من القيم الدَّلالية التى يجب الوقوف أمامها ،ومع العلم بأن صفة الجرى فى كلا اللفظين هى صفة غالبة لأن الجرى ليس من خصائص السفن ؛ فمن سار فى الماء فهو يسبح، وعليه فمادامت الصفة فى جميع سياقاتها صفة غالبة ، فإن القرآن الكريم قد استعمل اللفظ فى سياقه المناسب تماماً ، ولشرح ذلك أقول: فى سياق سورة الشورى المراد هو تذكير الناس بتلك النعمة الكبيرة التى أنعم الله تعالى بها على عباده ،حيث ساق لهم الرياح لسوق تلك السفن الكبيرة الضخمة والتى وصفها الحق – تبارك وتعالى – بالأعلام ؛ أى الجبال وإذا علمنا أن لفظ الجوارى يُطلق أصلاً على الرياح ، [1] علمنا ساعتها أن إطلاق الجوارى على السفن قد يكون من إطلاق الملازمة حيث إن الرياح متى سكنتْ ، ظلت تلك السفن رواكد ، كما عبَّر سبحانه وتعالى فى الآية التالية فى السياق عينه ،ففيه شىء من الترهيب ، بخلاف سياق سورة الذاريات الخاطب يغلب عليه جانب الترغيب فى المبدأ ، أما الختام ففيه من الشدة ما فيه ؛ حيث جاء تمهيداً ؛ لصدق قوله فى

جلَّ جلاله – ٥٥/ من الآية ٢٤ ،والتكوير/ فى الآية ١٦. وورد لفظ (الجاريات) فى قوله – تعالى – :﴿ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴾ سورة الذاريات٥١ / من الآية ٣.

(١) يُنظر لسان العرب ٦١٠/١ " جرى ".

يوم الدين ؛﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩ ﴾ (١)

بين خلائف و خلفاء . (٢)

حكى الأزهرى فى الفرق بين الخلفاء والخلائف ما يلى : قال : " وأخبرنى المنذرىُّ – عن الحرَانىِّ عن ابن السِّكِّيتِ – قوله : أمَّا " الخَلِيفَة " فإنه وَقَعَ على الرِّجالِ خاصَّةً . فالأجودُ أن يُحْمَلَ على مَعْناهُ ؛ لأنه إنما يَقَعُ للرِّجال – خاصة – وإن كانت فيه الهاءُ ، ألا ترى أنَّهُم قد جَمعوه : " خُلَفَاءَ " ؟ فكلُّ مَنْ جَمعه " خُلَفاءَ " قال : ثلاثة خُلفاءَ – لا غيْرُ وقد جُمِعَ " خَلائفَ " فمن قال : " خَلائف " قال : ثلاثُ خَلائفَ ، وثلاثةُ خَلائفَ. فمرَّةً يَذْهَبُ به إلى المعنى ، ومرَّةً إلى اللفظِ " (٣) وهما لغتان فصيحتان ؛ فالخلفاء جمع خليفة ، أو جمع خليف،– بغير هاء لأنه بمعنى الفاعل والهاء مبالغة مثل عَلاَّمَةٍ ونَسَّابَة – و الخلائف جمع خليفة ولكونه مذكر المعنى جمع على خلفاء ؛ وإلا فقياسه خلائف كـ (كرائم) إذا الفعيلة بالتاء لا تجمع على فعلاء(٤) ويبقى أن الخلفاء تستعمل فى خلافة ذوى الجاه والسلطان ، أو البطش والقوة كما استعملت فى سياق سورة الأعراف

---

(١) سورة الانفطار ٨٨/ ١٧-١٩.

(٢) ورد لفظ (خلائف) فى قوله _ تعالى _: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾سورة الأنعام ٦ / من الآية١٦٥، وورد اللفظ أيضاً فى سورة يونس ١٠/ من الآية ١٤و٧٣ ،وفاطر٣٥/ فى الآية ٣٩. وورد لفظ (خلفاء) فى قوله – تعالى –: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ ﴾ من سورة الأعراف ٧ / من الآية٦٩ و٧٤ وسورة النمل ٦٢/٢٧.

(٣) يُنظر التهذيب ٤٠٨/٧ " خلف ".

(٤) يُنظر المصباح المنير للفيومى ٩٤ " خ ل ف " و الكليات للكفوى ٤٢٧.

مع مخاطبة الكافرين بأنبيائهم ، ويكون لفظ (الخلائف) يتسعمل فى الخلافة الطبيعية التى تأتى من دون منازعة كخلافة الرجل فى مـــال أبيه من إرث وغيره ، أو خلافة صغار البلد لمستقبلها خلفاً لكبارهـــا اليوم ، والله أعلى وأعلم . (١)

بين الذُّكُور والذُّكران . (٢)

وهما فى اللغة جمع الذَّكر خلاف الأنثى يقول الخليل : " والذُّكُورةُ ، والذُّكُور ، والذُّكران ، جمع الذَّكَر ، وهو خلا ف الأُنْثَى .ومن الدَّوابِّ : الذُّكُورة." (٣)

وأضاف الجوهرى إلى الذُّكور والذُّكران – جمعاً للذَّكر – الذِّكَارَة وقال : مثل : حَجَرٍ وحِجارةٍ .ولم يذكر الذُّكورة . (٤)

وقد جمَّع ابن سيده بين ما ذكره الخليل والجوهرى ، وزاد عليه (ذِكار ، وذِكَرة) ، ثم حكى عن كراع النمل قوله : " ليس فـــى الكلام " فَعَلٌ " يكَسَّرُ على " فُعُول " و " فُعْلان " إلا الذكر. (٥)

المهم أنهم جميعاً قد اتفقوا على إيراد الذُّكُور والـــذُّكران جمعـــاً للذَّكر الذى هو خلاف الأُنْثَى ، أى أنهما بمعنى واحد ، فهل يصح إيراد أحدهما مكان صاحبه ؟، وإن جاز ذلك فى غير القـــرآن ،

---

(١) سورة الأعراف ٧ / الآيات من٦٩– ٧٤.

(٢) ورد لفظ (الذكور) فى قوله _ تعالى _: ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ﴾ من سورة الأنعام ٦ / ٣٩ وفى ســـورة الشورى ٤٢/ من الآيـة٤٩، وورد لفظ (الذُكران) فى قولـه - تعالى -:﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾. من سورة الشعراء ٢٦/ الآية١٦٥و فى سورة الشورى٥٠.

(٣) يُنظر العين ٢/ ٧٣ " ذكر ".

(٤) يُنظر الصحاح ٢/ ٦٦٤ " ذكر ".

(٥) يُنظر المحكم والمحيط ٦/ ٧٨٨ " ذكر ".

فهل يجوز ذلك فى كتاب الله – تبارك وتعالى – ؟ يبدو أن الأمر خلاف ذلك كله؛ فاللفظان وإن كانا جمعاً للفظٍ واحد إلا أنهما لم يتفقا اتفاقاً تاماً – خاصة – أن الذُّكران قد زاد على الذُّكور- صيغةً وهيئةً- ، حيث إن صيغة الفعلان تدل على القلقة والاضطراب فى المفتوح ، كالغليان ، والفوران ، فما بالنا بالمضموم ، ولهذا فقد استعمل الذُّكران فى سياق تعنيفى يحتاج إلى تلك الصيغة المنفرة حيث إن الذّكران ليست هى الصيغة المحببة للآذان فى جمع الذّكر، ذلك الجنس المحبب لدى الكثير من الناس – رجالاً ونساءً – دون استثناء.وعودة سريعة للسياق المستعمل فيه لفظ الذُّكران سنجد أنه فيه تنبيه على أن هذا الفعل الفظيع مخالف للفطرة – وهو إتيان الذُّكران – لا يقع من الحيوان العُجْم فهو عمل ابتدعوه ما فعله غيرهم – إلا من لف لِفهم من أهل الفسق والفجور اليوم – ونحوه قوله – تعالى – فى الآية الأخرى :﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] ويقول العلماء : إن الاستفهام فى (أتأتون) استفهام إنكار وتقريع وتوبيخ ، و تصدير الجملة بضمير الخطاب (أنتم) تعظيماً لفعلهم وتنبيهاً على أنهم مختصون بذلك ، ويؤيد ذلك الآية التالية والتى

(١) سورة العنكبوت ٢٩ / ٢٨.

وصفتهم بالجور والظلـــم ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ (١)

بين شُهُود وأشْهَاد . (٢)

وهما جمعاً لشاهد ، أما شهداء فجمع شهيد ، (٣)ولا يخفى على أحد من طلاب العربية الفرق بينهما حيث إن فُعول جمـــع كثـــرة وأفعال جمع قلة (٤)وهذا مناسب للسياق حيث إن المراد بالأشهاد – والله تعالى أعلم بمراده – الملائكة الحفظة الـــذين يحفظـــون أعمال العبد ، أما لفظ الشهود فقد جاءت فى السياقات المطلقـــة للشهادة. (٥)

بين الكفرةٍ ، والكافرين ، والكُفَّارٍ . (٦)

---

(١) يُراجع فى ذلك البحر المحيط لأبى حيان ٧ / ٣٥، و الدر المنثور ١/ ٢٨٩ وروح المعان للألوسى ١٩ ١١٦، وتفسير التحرير والتنـــوير ١٩/ ١٧٩. وتفسير الشيخ الشعراوى ١٠٦٦١

(٢) ورد لفظ (شهود) فى قوله _ تعالى _: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ ﴾ من سورة يونس ١٠ / ٦١ وفى سورة المدثر / من الآية١٣،وفى سورة البروج / من الآيـة ٧. وورد لفظ (أشهاد) فى قوله – تعالى -: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ ﴾ من سورة هود ١١ / من الآية١٨و فى سورة غافر/ ٥١.

(٣) يُنظر المحكم والمحيط ٤/ ١٨١ " ش هـــ د ".

(٤) يُنظر شذا العرف فى فن الصرف١٥٥و١٥٦و١٦١.

(٥) يُنظر الدر المثور٨ / ٣٢وما بعدها

(٦) ورد لفظ (الكفرة) فى قوله – تعالى – :﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ ســـورة عبس ٨٠/ ٤٠، وورد لفظ (الكافرين) فـــى قولـــه – تعـــالى – :﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ســـورة

وثلاثتها مأخوذةٌ من (ك ف ر) [١]؛ ورجل كافر : جاحدٌ لأنْعُم الله ، مُشتقٌّ من الستر .والجمع كُفَّار ، وكَفَرة ، وكِفَار . [٢]

فإذا ذهبنا إلى سياق لفظ (الكفرة) سنجد أنه جاء تذييلاً لوصفٍ أناس قد أخذت سورة عبس فى وصف حالهم المُشين والمتنوع ؛ فقال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ زيادة فى التشهير ،لذا أتبع وصف " الكفرة " بوصف " الفجرة " مع أن الوصف بالكفر أعظم من الوصف بالفجور ، لما فى معنى الفجور من خساسة العمل ، ولأنه كافر فاجر وهو أقبح الكفر.كالعاصى المجاهر.

فهذه الألفاظ الثلاثة تشترك فى معنى الكثرة وتتميز عن بعضها – أيضاً – فالكفرة للدلالة على رسوخ الكفر ودوامه ، والكافرون للدلالة على حالة غير راسخة يمكن أن تكون عابرة ، والكُفَّار للدلالة على حالة طويلة الأمد لم ترسخ بعد. [٣]

البقرة ٢/٣٤ وهذا اللفظ جمع تصحيح فيجمع بالواو والنون فى حالة الرفع وبالياء والنون فى حالتى النصب والجر وقد تكرر كثيراً فى كتاب الله – تعالى _ بالرفع كما فى النساء ٤/ ١٥١، والمائدة ٥/ ٤٤، والتوبة٩/٣٢ وغيرها الكثير والكثير ، وورد لفظ (الكُفَّار) فى قوله – تعالى – :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ سورة البقرة ٢/١٦١.

(١)وهذه المادة :(الكاف والفاء والراء) أصلٌ يدلُّ على معنى واحد ، وهو الستر والتغطية . يُنْظرُ المقاييس لابن فارس ٩٣٠و٩٣١" كفر ".يُقالُ : كَفَرَ السحابُ ، وكفر المتاع فى الوعاء ، وكفر الليلُ بظلامه ،وليلٌ كافرٌ ولَبِسَ كافِرَ الدُّرُوع وهو ثوبٌ يُلبس فوقها .وكفَرتِ الرّيحُ الحبَّ ، ومنه قيل للزُّرَّاع : الكُفَّار .يُنْظرُ أساس البلاغة للزمخشرى ٢/ ١٤٠" كفر ". أما صيغة (كافرين وكافرون) فجمع تصحيح، بالواو والنون فى حالة الرفع وبالياء والنون فى حالتى النصب والجر وقد تكرر كثيراً فى كتاب الله – تعالى _.

(٢) يُنظر المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٧/ ٤ " كفر ".

(٣) يُنظر طريقة جديدة لتعلّم العربية وتعليمها للدكتور رولان سيف ٩.

ولو حاولنا تفحصّ البنية حتى يتسنى الحكم على قوة اللفظ لقوة معناه لوجدنا ثلاثة صيغ أولها ؛ (الكفرة) ولم ترد فى القرآن الكريم إلا فى هذا الموضع ورغم دلالتها على رسوخ الكفر ودوامه إلا أنها ليست بأقوى الصيغ عند عقد المقارنة بينها ، حيث إن بنيتها أقلها عدداً فلو حكمنا لها لذهبنا بما يُعرف بالقيمة التعبيرية للحرف الواحد مع العلم بمناسبتها لسياقها – من غير جدال – أما صيغة جمع التصحيح فالزيادة بها زيادة محلقة وليست من بنية الكلمة ، أما (كفَّار) فهى على وزن (فُعَّال) وهو من أبنية المبالغة وهو تحمل معنى التكثير .فلذا نحكم لها بالزيادة.

بين النخل والنخيل . [١]

وهما جمعاً لنخْلة ؛ وهى شجرة التَّمْر ، ويقال – أيضاً – ثلاثُ نَخَلاتٍ . [٢]

وهما بمعنى واحد كما قال الجوهرى : " النَخْلُ والنَخيل بمعنى ، والواحدة نخلْةٌ ". [٣]

ولكنهما فى السياق القرآنى بدا لكل منهما ملامحه الخاصة ،وزاد المعنى مع الذى زادت بنيته وهو – هنا – لفظ النخيل ، ولو تتبعنا السياق القرآنى الذى ورد فيه كل لفظ لن يخفى علينا

---

(١) ورد لفظ (النخل) فى قوله _ تعالى _:﴿ وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ من سورة الأنعام ٦ / ٩٩،و ١٤١ وورد لفظ (النخيل) فى قوله - تعالى -: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ من سورة البقرة ٢ / من الآية٢٦٦و والإسراء / ٩١ ، وسورة المؤمنون / ١٩.

(٢) يُنظر العين للخليل ٤/ ٢٠٤ " نخل ".

(٣) يُنظر الصحاح ٥/ ١٨٢٧ " نخل ".

ذلك ؛ فسياق سورة الأنعام ذُكر فيه لفظ النخل ضمن ما عـدده الله – تبارك وتعالى – من صنوف الزرع والتى تخرج جميعهـا من الماء المنزل من السماء ، فالهدف السياقى هو إبراز قيمـة ذلك الماء المنزَّل من السماء ، وبقيتْ قضية النخل وتفصـيلاته قضية فرعية منبثقة عن القضية الرئيسية ؛ وهى قيمـة المـاء وقدرة الحق – تبارك وتعالى – فيه ، ولا أدل علـى ذلـك مـن أسلوب القصر : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ ؛ ثم قوله : ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ ﴾ ؛ أى الماء ، فالباء للسببية ، وحتى التنوع الذى ذكره السياق القرآنى لصُنوف النبات ؛ يقوم على خدمة الهدف الأساسى لسياق الآيـة حيث إن الماءَ واحدٌ والله – تبارك وتعالى – يخرج منـه مالـه ساق ليّنة كالقصب ؛ وماله ساق غليظـة ، كالشـجر والنخـل ، والعنب ،و منه ما هو لاصق بالتراب ، وكلها مختلفـة الصـفات والخصوصيات ؛فاللفظ مناسب لسياقه أيما مناسـبة – فسـبحانه وتعالى : تنزيل من حكيم حميد .

أما لفظ النخيل مثلا نجده قد ورد فى سياق استئنافى بيانى لما ضربه الحق – تبارك وتعالى – من أمثال للمنفقين فى سبيله ، والمنصرفين عن ذلك الطريق القويم من إنكار لنعمة الله – تبارك وتعالى – ؛ و كيف أن الله – تبارك وتعالى – نهاهم عن إتبـاع صدقاتهم بمّن أو أذى ؛ من أجل ذلك كله استشرفت نفس السامع لتلقى مثَل لهم يوضح حالهم الذميمة كما ضرب المثل لمن كانوا بضدّ حالهم محمودة ، ضرب الله مثلا لمقابل مثل النفقة لمرضاة

الله والتصديق وهو نفقة الرياء . فالسياق يحتـــاج إلـــى إظهـــار الصورة المتمناه قبل الحصول ثم زوالها بإصابتها بإعصـــار أو غيره فالجنة بها نخيل ، والنخيل يعلو فى السماء كما سمعة من ينفق ماله رياناً ، فالأمر قائم على التشبيه من جانب وقائم علـــى العبرة من جانب أخر، والسياق يعرض صورة متخيلة فى ذهـــن المعتبر ، وصورة الخيال – غالباً – أوسع من الواقع ؛ فالســـياق يحتاج إلى المبالغة فى الصورة حيث تصفى أقصى مـــا يتمنـــاه المنفق – نفقته ريائًا –، فنفقة الرياء تعلو فـــى الـــدنيا ، وفـــى الآخرة بلا أجر حيث تلقى أجره فى الدنيا ممن امتـــدحوه وهـــو بذلك سعيد، فالصورة الذهنية واسعة فاحتاجت فى توصيفها إلى قوالب تناسب تلك الصورة ، فاستعمل لفظ النخيـــل لأنـــه أحـــد عناصر توصيف الصورة ، والزيادة فى المبنى يتعه زيـــادة فـــى المعنى . [١]

---

(١) يُنظر التحرير والتنوير ٣ / ٥٣، ٧ / ٤٠٠وما قبلها.

(بين الحروف)

بين إذ ، و إذا .[١]

و هما اسمان للدَّلالة على الزمان [٢] ، و(إذ) لما مضى من الزمان ؛ لذا أقسم – تبارك وتعالى – بالليل فى حالة إدباره التى مضت وهى حالة متجددة تَّمضى وتَحْضُر وتُستقبل ، فأى زمن اعتبر معها فهى حقيقة بأن يقسم فيه ، ولذلك أقسم بالصبح إذا أسفر مع اسم الزمن المستقبل.

وعندما نبحث عن مصدر قوة لفظ (إذا) على لفظ (إذ) سنجده فى أكثر من شىء ؛ أولها :

وجود فونيم الألف ، وهذا الفونيم لا يوجد فى اللفظ عبثاً ، فقد جاء لدلالة ما .

١- دلالة (إذا) على المستقبل ، والمستقبل فى حق الله – تبارك وتعالى – أقوى دلالة من الدَّلالة على الماضى ، وأن الأمور المستقبلة لما كانت فى إخبار الله – تعالى –

---

(١) ورد اللفظان فى قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة المدثر ٧٤/ ٣٣و٣٤.

(٢) فـ (إذ) لفظ مشترك ؛ يكون اسماً ، وحرفاً ؛ فمن الأول كونه ظرفاً لما مضى ، من الزمان .نحو قمتُ إذ قام زيد . و" إذا" لفظ مشترك فيكون اسماً وحرفاً ومن الأول كونها ظرفاً لما يتقبل من الزمان ، متضمنة معنى الشرط ، ولذا تجاب بما تُجاب به أدوات الشرط ، نحو: إذا جاء زيدٌ فقُمْ إليه ،وكثر مجىء الماضى بعدها ، مراداً به الاستقبال يُنظر الجنى الدانى ١٨٥و١٨٦و٣٦٧.

مُتيقَّنَةً مقطوعاً بها عُبّر عنها بلفظ الماضى ،وبهذا أجاب الزمخشرى ، وابن عطية ، وغيرهما . [١]

٢- فونيم الذال فى (إذ) ساكن[٢] ، وفى (إذا) متحرك ، والحركة أقوى من السكون .

٣- قراءة (إذ) عند كثير من القراء (إذا) [٣] والعلة هى تحويله من المضى إلى الاستقبال . [٤]

---

(١)يُنظر الجنى الدانى ١٨٨.

(٢)وبعض العرب تفتح الذال تخفيفاً عند الإضافة كقولهم : حينئذاً وأحيانا تكسر الذال مع الإضافة – أيضاً – كقول أبى ذؤيب الهذلى ،كما فى ديوان الهذليين ٦٨/١ :

نَهيتُكَ عن طلابِكَ أمّ عمرو بعافيةٍ وأنت إذٍ صَحِحُ

يُنظر الجنى الدانى ١٨٦و١٨٧.

(٣)وقرأ ابن عباس ، وابن الزبير ، ومجاهد ، وعطاء ، وابن يعمر ، وأبو جعفر ، ،وشيبة ، ،وأبو الزاد ، وقتادة ، وعمر بن عبد العزيز ، والحسن ، وطلحة ، والنحويان ،وأبو بكر (إذا) زمان مستقبل . ينظر البحر المحيط ٨ / ٣٦٩. قال السمين – معلقاً على القراءتين – : الرسم محتمل لكلتيهما ، فالصورة الخطية لا تختلف ، واختار أبو عبيد قراءة " إذا " ، قال : لأنَّ بعده " إذا أسفر " قال : وكذلك هى فى حرف عبد الله وأُبىّ " قلتُ : يعنى أنه مكتوب بألفين بعد الذال أحدهما ألف " إذا " والأخرى همزة " أدبر" وأختار ابن عباس – أيضاً – " إذا " .قال القرطبى و ابن عادل – نقلاً – عن أبى عبيد عن علة اختياره لقراءة " إذا " لأنه ليس فى القرآن قسم يعقبه " إذ " ، وإنما يعقبه " إذا " . يُنظر زاد المسير لابن الجوزى ٨/ ٤٠٩و٤١٠، والجامع لأحكام القرآن ٢١/ ٣٩٢، والدر المصون ١٠/ ٥٥٠ ،واللباب لابن عادل ٥٢٦/١٩. وروح المعانى ٢٩/ ١٣٠، وحاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوى ٤/ ٤٧٩و٤٨٠.

(٤) وهو أحد استعمالاتها – أيضاً – حيث تكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان ، بمعنى " إذا " ذهب إلى ذلك قوم من المتأخرين ،منهم ابن مالك ، واستدلوا بقوله – تعالى - :﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ سورة غافر ٤٠/ ٧٠و٧١. وبآيات أخر . وذهب أكثر المحققين إلى أن " إذ " لا تقع موقع "إذا " و لا "إذا " موقع " إذ " وهو الذى صححه المغاربة ، وأجابوا عن هذه ، الآية ونجوها ، بأن الأمور المستقبلة لما كانت فى إخبار الله –

خاتمة

الحمد لله الذى بفضله تتم الصالحات، وبحوله وقوته تمنح الدرجات فإنى لأرجو الله ــ العلى القدير ــ أن يكون هذا العمل قد شق مسلكا فى درب فقه اللغة العربية،بالبحث فى : (قوة اللفظ لقوة المعنى)، وكون الذكر الحكيم هو محور لتلك الدراسة فهو الشرف الذى لا يطاوله أى شرف، ذلك الكتاب الكريم الذى يتلى ويتردد فى أرجاء البسيطة منذ أكثر من ألف عام وسيظل يتلى ويتردد فى أرجائها إلى أن يرث الله ــ تعالى ــ الأرض ومن عليها، وقد ظل ــ أيضا ــ محورا للدراسات اللغوية، والشرعية، والإنسانية، والمعرفية، وستبقى هذه الأمة قادرة ــ بهذا الكتاب ــ على النهوض والتجاوز للمحن والعلل ما دامت متمسكة به فهذا النص يشكل من بعض الوجوه الحصن الثقافى، والمعرفى، بل قل والترسانة الفكرية المانعة من ذوبان أمتنا فى حالات الضعف والانكسار، ويشكل من بعض الوجوه القوة الدافعة وقاطرة التقدم فى فترات التألق والازدهار.

تعالى – مُتيقَّنَةً مقطوعاً بها عُبّر عنها بلفظ الماضى ،وبهذا أجاب الزمخشرى ، وابن عطية ، وغيرهما . وكذا " إذا " تكون ظرفاً لما مضى من الزمان ،واقعة موقع " إذ " ، كقوله – تعالى – :﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ سورة التوبة /من الآية ٩٢. وقوله :﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾سورة الجمعة ٦٢/ من الآية ١١. فـ " إذا فى هذا ونحوه ، بمعنى "إذ" هذا مذهب بعض النحويين ، وبه قال ابن مالك كما ى التسهيل " وربما وقعتْ موقع"إذْ" و"إذْ " موقعها ، والذى صححه المغاربة أن " إذا " لا تقع موقع " إذْ " ولا "إذا " موقعها ، وتأولوا ما أوهم ذلك . يُنظر الجنى الدانى ١٨٨،٣٧١. هذا الكلام من أئمة النحو يعضد قراءة حفص "إذْ " فـ " إذا " .

أهم نتائج الدراسة :

١. دور السياق أو ما يُعرف بالبيئة اللغوية فى قضية قوة اللفظ لقوة المعنى ؛ حيث إن لكل بيئة ما يناسبها من كائنات حية تحيا فيها ، كذا البيئة اللغوية لها ما يناسبها من ألفاظ وتراكيب .

٢. معرفة سبب نزول الآيات من الأمور ذات الصلة فى تحديد السياق ، وهو أمرٌ لا ينفك عن التحليل الدّلالى عندما يتعلق الأمر بكتاب الله –تعالى –.

٣. القيمة الدَّلالية والتعبيرية للحرف الواحد؛ حيث إنه به تمتاز صيغة عن أخرى ، وبه تزداد قوة لقوة معناها.

*وأخيراً:

فهذه الدراسة ليست إلا إضافة يسيرة إلى جهود علمائنا – قدامى ومحدثين – ممّن اشتغلوا بالدراسات اللغوية وعبّدوا الطريق لمن يأتى بعدهم و تركوا للعربية وطلابها ثمار جهودهم السخية مناراً على الطريق . وهؤلاء وآخرون ،انطلقوا بالبحث اللغوى من حيث انتهت خطوات الذين سبقوهم من علماء السلف والشوط الذى قطعه هؤلاء العلماء ، من قدامى ومحدثين ، قد عبَّد الطريق لمن يأتى بعدهم ، بحيث لا يبدأ أحدنا خطوة على الدرب ، دون الإفادة من بحوثهم والتزود منها لما هو بسبيل إلى درسه .[١]

---

(١) يُنْظر لغتنا والحياة د / عائشة عبد الرحمن " بنت الشاطىء "٧.

((فهرس المصادر والمراجع))

- القرآن الكريم .
- الألفاظ الكتابية – لعبد الرحمان بن عيسى الهمذانى – مكتبة المليجى – مصر ١٩٣١م
- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ؛ المسمى منتهى الأمانى والمسرات فى علوم القراءات – تأليف الشيخ / أحمد بن محمد البنا المتوفى ١١١٧هـ= ١٧٠٥م – حققه / الدكتور:شعبان محمد إسماعيل – عالم الكتب – بيروت – مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة- الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ =١٩٨٧م.
- أثر القوانين الصّوتية فى بناء الكلمة العربية : – للدكتور / فوزى حسن الشايب – عالم الكتب الحديث – الأردن – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م .
- ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب لأبى حيان الأندلسى المتوفى سنة ٧٤٠هـ – تحقيق د/ رجب عثمان محمد – مراجعة د/ رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجى – القاهرة.
- أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ – تصنيف الشيخ أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ، تأليف الشيخ أبى القاسم هبة الله بن سلامة أبى النصر – عالم الكتب – بيروت
- أساس البلاغة – تأليف أبى القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشرى – المتوفى ٥٣٨هـ- تحقيق / محمد باسل العيون – المكتبة العلمية- بيروت – لبنان- الطبعة الأولى١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.
- الأشباه والنظائر فى النحو للشيخ العلامة جلال الدين السيوطى المولود فى٨٤٩هـ =١٤٤٥م – والمتوفى ٩١١هـ= ١٥٠٥م- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

- البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى المتوفى سنة ٧٤٥هـ- تحقيق / الشيخ عادل عبد الموجود ، والشيخ على معوض – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز – تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى المتوفى سنة ٨١٧هـ،تحقيق الأستاذ / محمد على النجار – الطبعة الثالثة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.
- التبصرة والتذكرة لأبى محمد بن عبد الله بن إسحاق الصَّيْمرى- من نحاة القرن الرابع- تحقيق د/ فتحى أحمد مصطفى على الدين – الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م – دار الفكر – دمشق.
- التحرير والتنوير – تأليف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور- الدار التونسية للنشر- ١٨٨٤م.
- تدريس فنون اللغة العربية – للدكتور / على أحمد مَدكور- طبعة دار الشواف – مصر١٩٩١م
- التذكرة فى القراءات الثمان للإمام أبى الحسن طاهر بن غَلبون المقرئ الحلبى المتوفى ٣٩٩هـ – تحقيق / أيمن رُشدى سوَيد.
- ترتيل القرآن الكريم فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة – تأليف الدكتور / عبد الفتاح عبد العليم البركاوى – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م .
- تصريف الأسماء والأفعال – دكتور فخر الدين قباوة- مكتبة المعارف – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- تفسير الشيخ الشعراوى

- تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازى٥٤٤-٦٠٤هـ - دار الفكر- الطبعة الأولى ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- تكملة المعاجم العربية – تأليف :رينهارت دوزى – دار الرشيد للنشر – العراق ١٩٨٠م.
- التمهيد فى علم التجويد للإمام محمد ابن الجزرى – تحقيق الدكتور على حسين البواب – مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٥هت = ١٩٨٥م.
- التنغيم اللغوى فى القران الكريم – تأليف : سمير إبراهيم وحيد العزّاوى – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م – دار الضياء للنشر – الأردن .
- تاج العروس من جواهر القاموس ـ للسيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى ـ المطبعة الخيرية ـ مصر ١٣٠٦هـ٠
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادى المعروف بابن أم قاسم المتوفى عام ٧٤٩هـ -تحقيق / دكتور : عبد الرحمن على سليمان – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م – دار الفكر العربى.
- تهذيب اللغة لأبى محمد بن أحمد الأزهرى ت٣٧٠هـ ـ تحقيق/ عبد السلام هارون ـ الطبعة الأولى – الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- تيسيرات لغوية – دكتور / شوقى ضيف – دار المعارف .

- جامع البيان عن تأويل آى القُرآن ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة (٢٢٤هـ - ٣١٠هـ)هـ ـ تحقيق / الدكتور : عبد الله التركى – هجر للطباعة والنشر.
- الجامع لأحكام القرآن والمُبَيِّنُ لما تضمنَه من السنة وآى الفُرقان- تأليف أبى عبد الله محمد بن أبى بكر القُرطُبى- تحقيق / الدكتور : عبد الله التركى- مؤسسة الرسالة.

- جمهرة اللغة لابن دريد أبىبكر محمد بن الحسن الأزدى البصرى المتوفى سنة ٣٢١هـ ـ مكتبة المثنى ـ بغداد ٠
- الجنى الدانى فى حروف المعانى – صنعة :الحسن ابن قاسم المرادى – تحقيق : الدكتور / فخر الدين قباوة ، والأستاذ : محمد نديم فاضل – دار الكتب العلمية – بيروت .- لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.
- الحجة فى القراءات السبع للإمام ابن خالويه – تحقيق / الدكتور : عبد العال سالم مكرم – دار الشروق – الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
- الحجة للقراء السبعة – تصنيف أبى على الحسن بن عبد الغفار الفارسى (٢٨٨- ٣٧٧هـ) – حققه /عبد العزيز قهوجى ، وبشير جويجابى – دار المأمون للتراث
- حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوى - مكتبة الحقيقة – تركيا -١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.
- حق التلاوة ـ حسنى شيخ عثمان ـ مكتبة المنار ـ الأردن ـ الطبعة التاسعة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م٠

- الخصائص – لأبى الفتح عثمان بن جنى- تحقيق : محمد على النجار – المكتبة العلمية .
- دراسات فى فقه اللغة – تأليف : الدكتور / صبحى الصالح – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة التاسعة ١٩٨١م
- الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون –تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبى المتوفى سنة ٧٥٦هـ- تحقيق / الدكتور احمد محمد الخراط – دار القلم – دمشق.
- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور – لجلال الدين السيوطى (٨٤٩هـ -٩١١هـ) تحقيق الدكتور عبد الله التركى- الطبعة الأولى – القاهرة ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.
- الدلالة الصوتية فى اللغة العربية – الدكتور صالح سليم عبد القادر الفاخرى –الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ =١٩٩٩م – القاهرة .
- ديوان النابغة الذبيانى – شرحه / حمدُو طمّاس- دار المعرفة بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيسى المتوفى سنة ٤٣٧هـ تحقيق د/أحمد حسن فرحات ـ دار عمار ـ الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م٠
- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى لأبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى المتوفى سنة ١٢٧٠هـ- دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان.

- زاد المسير فى علم التفسير لأبى الفرج جمال الدين بن الجوزى القرشى البغدادى ٥٠٨- ٥٩٧هـ - المكتب الإسلامى.
- سر صناعة الإعراب لأبى الفتح عثمان بن جنى تحقيق: د/حسن هنداوى ـ دار القلم ـ دمشق ـ الطبعة الثانية ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م٠

- شرح التسهيل لابن مالك جمال الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الجيّانى الأندلسى " ٦٠٠- ٦٧٢هـ - تحقيق /الدكتور : عبد الرحم السيد ، والدكتور : محمد بدوى المختون - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م - هجر للطباعة والنشر.
- شرح كتاب الحدود فى النحو للإمام عبد الله بن أحمد الفاكهى النحوى المكى ٨٩٩-٩٧٢هـ - تحقيق د/ المتولى رمضان أحمد الدميرى ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م - مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الثانية ١٤١٤هـ = ١٩٩٣ م.
- شرح الكافية الشافية - تأليف / العلامة جمال الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الجيّان - تحقيق / دكتور : عبد المنعم هنداوى - دار المأمون للتراث .
- شذا العرف فى فن الصرف لأحمد الحملاوى - دار الكيان .
- صحيح مسلم بشرح النووى - الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ =١٩٢٩م - المطبعة المصرية الأزهرية.

- الصَّحاح تاج اللغة وصِحاح العربية ؛ لإسماعيل ابن حمّاد الجوهرى ت٣٩٣هـ ـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ـ الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م ـ دار العلم للملايين٠
- الصاحبى لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا – تحقيق : السيد أحمد صقر – دار إحياء الكتب العربية – مصر .
- طريقة جديد لتعلّم العربي وتعليمها – للدكتور رولان سيف – لبنان.
- علم الصوتيات – تأليف : دكتور / عبد الله ربيع محمود ، ودكتور / عبد العزيز أحمد علام – مكتبة الطالب الجامعى – مكة المكرمة –الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- علم فقه اللغة العربية – أصالته ومسائله – د/ محمد حسن حسن جبل – مكتبة الآداب – القاهرة –الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.

- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربى) – الدكتور محمود السعران – الطبعة الثانية – ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م– دار الفكر العربى .
- علم اللغة العام (الأصوات) دكتور/ كمال محمد بشر ـ دار المعارف ـ ١٩٨٠م٠
- عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير– للشيخ أحمد شاكر– دار الوفاء.

- العين لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى ١٠٠ ــ ١٧٥هـ ــ تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوى ــ دار العلم للملايين ــ بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ٢٠٠٣م= ١٤٢٤هـ٠
- الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى ــ تحقيق حسام الدين القدسى ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ٠
- فريدة الدهر فى تأصيل القراءات العشر –للشيخ محمد إبراهيم محمد سالم – دار البيان العربى – مصر.
- فى الدراسات القرآنية واللغوية (الإمالة فى القراءات واللهجات العربية) – دكتور / عبد الفتاح إسماعيل شلبى – مطبعة نهضة مصر – الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ = ١٩٥٧م .
- فى الأصوات اللغوية ــ دراسة فى أصوات المد العربية ــ دكتور/ غالب فاضل المطبى٠
- الكتاب – كتاب سيبويه لأبى بِشر عمرو بن عثمان بن قَنبر ١٨٠هـ – تحقيق / الأستاذ : عبد السلام محمد هارون – الطبعة الثالثة – ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م
- الكشاف – عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل – تأليف / أبى القاسم الزمخشرى – دار الفكر .
- الكليات معجم فى المصطلحات والفروق اللغوية لأبى البقاء أيوب بن موسى الحسينى الكفوى ت ١٠٩٤هـ = ١٦٨٣م أعده للطبع د/عدنان درويش، ومحمد المصرى ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م٠
- لسان العرب لابن منظور ــ تحقيق الأساتذة:عبد الله على الكبير،ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلى ــ الطبعة الثالثة ــ دار المعارف.

- لغتنا والحياة – الدكتورة /عائشة عبد الرحمن ((بنت الشاطئ))- طبعة جامعة الدول العربية – ١٩٦٩م=١٣٨٨هـ.

- اللهجات العربية فى التراث – تأليف الدكتور/ أحمد علم الدين الجندى – الدار العربية للكتاب –١٩٨٣م٠

- المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها – تأليف : أبى الفتح عثمان بن جنى – تحقيق : على النجدى ناصف ، والدكتور / عبد الحليم النجار ، والدكتور / عبد الفتاح إسماعيل شلبى – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية –القاهرة ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز للقاضى أبى محمد بن عطية الأندلسى المتوفى سنة ٥٤٦هـ – تحقيق / عبد السلام عبد الشافى محمد– الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – وضعه : محمد فؤاد عبد الباقى – دار الحديث – مصر –١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م .
- المحكم والمحيط الأعظم لعلى بن إسماعيل المعروف بابن سيده المرسى المتوفى سنة ٤٥٨هـ ـ تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوى ـ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان٠
- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها – للعلامة / السيوطى – تحقيق : محمد جاد المولى – محمد أبو الفضل إبراهيم – على محمد البجاوى – المكتبة العصرية – بيروت – ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

- المصباح المنير لأحمد بن محمد الفيومى المقرئ ــ اعتنى بالطبعة الأستاذ يوسف الشيخ محمد ــ المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م٠
- معانى القرآن وإعرابه للزجاج أبى إسحاق إبراهيم بن السَّرِى المتوفى سنة ٣١١هـ- تحقيق: دكتور عبد الجليل شلبى – عالم الكتب – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- معانى القرآن الكريم للإمام أبى جعفر النحاس – المتوفى سنة ٣٣٨هـ – تحقيق / الشيخ محمد على الصابونى- الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ =١٩٨٨م.
- المقنع فى رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط – تأليف الإمام أبى عمرو عثمان بن سعيد الدّانى المتوفى عام (٤٤٤هـ) – تحقيق / محمد الصادق قمحاوى – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – ١٩٧٨م.
- المقاييس فى اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٥هـ ــ حققه/ شهاب الدين أبو عمرو ــ دار الفكر ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ــ ١٩٩٨م٠
- المصطلحات اللغوية فى التراث اللغوى فى ضوء علم اللغة الحديث – دكتور / سعيد شلتوت – الطبعة الأولى ١٩٩٩م – الأنجلو المصرية. "
- معالم التنزيل " لأبى محمد الحسين بن مسعود البغوى المتوفى ٥١٦هـ- حققه / محمد النمر ، وعثمان ضميريّة ،و سليمان الحرش – دار طيبة للنشر – الرياض ١٤٠٩هـ.

- مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى – مكتبة المصطفى.
- النحو الوافى – تأليف عباس حسن – الطبعة الثالثة – دار المعارف بمصر
- النشر فى القراءات العشر . للإمام محمد بن الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣هـ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م٠
- نقد الاستغراب فى الدراسات اللغوية للدكتور / محمد حسن حسن جبل.
- النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٥٤٤ـ٦٠٦هـ – تحقيق : محمود الطناحى ، طاهر الزاوى – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان.
- نهاية القول المفيد فى علم التجويد . للعلامة محمد مكى نصر ١٣٤٩هـ ٠ ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى ـ مصر ـ ربيع الثانى سنة.